مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

سلسة أعلام الصحابة المحاربين(3)

عدي بن حاتم الطائي

تأليف

الأستاذ، أحمد عادل كمال

سلسة أعلام الصحابة المحاربين(3)

عدي بن حاتم الطائي

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي العربي الكريم أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

مما لا مجال للشك فيه أن الخلفية التاريخية للفتوحات الإسلامية تتمثل في تطلع المسلمين لنشر الإسلام في شتى البقاع ومختلف الأماكن والبلدان. وإذا كان الهدف الحقيقي هو نشر الإسلام وإنقاذ البشرية من براثن الكفر والوثنية فإن ترجمة هذا الهدف إلى أرض الواقع كان يتطلب المزيد من التضحية وبذل كل ما تضن به النفس من مال وعتاد لتحقيق هذه الغاية المنشودة. وبتتبعنا لصفحات هذه الحقبة الزاهرة ندرك أن ثمة رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه وأسدوا أياد بيضاء لخدمة الدين ونصرة الإسلام دون تطلع إلى مكسب أو اعتلاء منصب بل كان جهادهم لله وفي الله فكانوا فخرًا للأمة ومثلاً يحتذى به. ومن المؤسف أن يغفل كثير من الباحثين عن إلقاء الضوء على هؤلاء الأعلام لإحياء سيرتهم العطرة وجهادهم المبارك حتى يتسنى لكثير من الجاهلين بهم الوقوف على سيرتهم والاقتداء بهم. وقد استطاع الأستاذ أحمد عادل كمال أن يعالج هذا النقص وأن يضع النقاط على الحروف في قضية تعد في حد ذاتها أمراً واجباً على كل مسلم أن يولي اهتمامه به لأن المؤلف يدرج تماماً المقولة الدارجة "وتاهت أمة جهلت قدر رجالها". ومن هذا المنطلق فنحن نقدم للقارئ الكريم الجزء الثالث من سلسلة أعلام الصحابة المحاربين

والذي يتناول الصحابي الجليل القدر عدي بن حاتم الطائي ذلك الصحابي الطيب الذكر الذي كان مع فروسيته رجلاً كوثراً وسيداً شريفاً في قومه خطيباً حاضراً الجواب فاضلاً كريماً.

والكتاب بعمومه ينقسم إلى أربعة أبواب يأتي الباب الأول منها فيتحدث عن قبيلة طيئ وما كان من محاسنها في الجاهلية ثم يتطرق إلى حاتم الطائي - والد عدي - ليمطرنا بوابل من كرمه الذي كان وما يزال يضرب به المثل. بينما ينصرف الباب الثاني فيتحدث عن ظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية وما ترتب عليه من دخول طيئ في الإسلام ومن ثم إسلام عدي بن حاتم ثم ينهي حديثه بذكر بعض الأحاديث التي رواها عدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهض الباب الثالث متناول حروب الردة والدور الذي قام به عدي بن حاتم في تلك الحروب والذي يشهد له بصدق إيمانه حيث لم ينتهزها فرصة للتنكيل بمن عداهم في الجاهلية. ويحدثنا الباب الرابع عن الفتوحات الإسلامية التي لعب عدي فيها دوراً بارزاً والتي خلدت اسمه في صفحات التاريخ كبطل لا يقل جدارة عن غيره من القيادات الفذة كخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وغيرهم.

هذا والكتاب في مجموعه يعد وثيقة تاريخية سجلت في طياتها تاريخ الفتوحات الإسلامية الأمر الذي يجعل منه مرجعاً لا غنى عنه للباحث المتخصص والقارئ المسلم المثقف.

وأملنا أن يلقى الكتاب ما يستحق من اهتمام القارئ وأن يجد فيه ما ينشد من القراءة والمتعة.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

أحمد جابر بدران

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مقدمة

قال له عمر بن الخطاب: كيف لا أعرفك؟!

وأول صدقة بيضت وجه أصحاب رسول الله صدقة طيئ!

بلى والله أعرفك، أكرمك الله بأحسن المعرفة.

أعرفك.

آمنت إذ كفروا.

وأقبلت إذ أدبروا.

ووفيت إذ غدروا.

فقال عدي: حسبي يا أمير المؤمنين. حسبي.

حمل عدي بن حاتم الطائي السيف على صهوة جواده جهادا في سبيل الله ثابتاً على إسلامه قائداً لقومه حين ارتد الناس وقد بلغ الثالثة بعد الستين ثم سار عدي يقود قبيلته (طيىء) مع جيوش المسلمين التي انسابت شرقا في حركة الفتح المباركة في فتوة لو كانت في شاب لحسده الناس عليها.

إن العجب عادة ما يكون ممن تظهر رجولتهم مبكرة قبل سن الرجولة، ويعبر عن صاحبها بأنه رجل قبل الأوان، ولكن العجب كل العجب من عدي بن حاتم أن امتدت به فتوته وشبابه كثيراً كثيرا وهو طاعن في سن الشيخوخة والكهولة حتى لنستطيع أن نصفه بأنه ظل شاباً بعد الأوان.

وحين اندلعت الفتنة كان عدي بن حاتم مع علي بن أبي طالب وشهد معه معركة الجمل ففقئت عينه وقُتل ولده بها، ولم يمنعه هذا أن يستمر على نصرة الحق الذي اقتنع بصوابه فشهد مع علي صفين والنهروان، وتوفي بالكوفة بين عامي (67 و69 هـ) وقد بلغ مائة وعشرين عاما.

كان عدي مع فروسيته رجلا كوثراً سيدا شريفا في قومه، خطيباً حاضر الجواب فاضلا كريما. وقد نشأ في بيت اشتهر بالكرم وذاع في ذلك صيته ذيوعاً لم يحدث قديما ولا حديثا لسواه حتى أننا ونحن نقلب صفحات ذلك الكرم لتساؤلنا أنفسنا أصواباً كان ذاك أم سفهاً! وليس من قراء العربية من لا يعرف حاتما الطائي، ولم يكن حاتم وحده هو كريم بيته وإنما تضيف الأخبار إليه جده وأمه وابنته سفّانة بنت حاتم وعدي بن حاتم الطائي وأبناء عدي، قال عدي بن(1) حاتم لابن له حدث: "قم بالباب فأمنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف. فقال: لا والله، لا يكون أول شئ وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام".

---

(1) عيون الأخبار 335/1 .

طيىء

مساكنهم

القبيلة قبيلة كبيرة عظيمة كثيرة العدد منتشرة الرقعة والمنازل، وهي من القبائل القحطانية. كانت منازل طيىء أصلا باليمن، ولكنهم خرجوا منه بعد نزوح الأزد عنه وبعد أن خرج بنو عمرو بن عامر بزمن يسير على أثر انهيار سد مأرب. وسارت طيىء شمالا حتى نزلت الجبلين أجأ وسلمى. كان الجبلان لبني أسد من القبائل العدنانية ولكن طيئا اشتبكت بهم من أجل الحياة والعيش وأذلت طيىء بني أسد وقهرتهم(2) تم حالفتهم. وانتشرت طيىء فيما بين الجبلين بشمال نجد وامتد انتشارهم حتى الحيرة بتخوم العراق، هذه المنطقة كانت تنتشر في أجزاء منها قبيلة أسد فكان بين طيىء وأسد تداخل وجوار. ولقد كان لبني طيىء منازل في سميراء(3) وفيد(4) ومياه بزاخة مجاورين بني أسد، كما كانت لهم منازل في دومة وتيماء(5) والقارة(6)

(2) المعارف 641 .

(3) سميراء حوله جبال وآكام سود وبذلك سمى سميراء. معجم البلدان .

(4) فيد نصف الطريق إلى مكة من الكوفة. وكانت ثلث فيد لبني نبهان من طيء . معجم البلدان .

(5) تيماء بليد في اطراف الشام بينه وبين وادي القرى _ معجم البلدان.

(6) القارة جبيل مستدق ملموم في السماء لا يقود في الأرض وهو عظيم مستدير وهو اصغر من الجبل. وذو القارة إحدى القريات التي منها دومة وسكاكة _ معجم البلدان.

وسكاكة(7) وظريب(8) ومحضر(9). يقول الاصطخري(10): "وفيد في ديار طيىء، وجبلا طيىء منها علي مسيرة يومين (حوالي 90 كيلو مترا) وفيها نخل وزرع قليل لطيىء وبها ماء قليل، يسكنها بادية من طيىء ينتقلون عنها في بعض السنة للمراعي".

ويبدو أن كثافة بني طيىء كانت في الجبلين أجأ وسلمى، وهما المعروفان اليوم بجبل شمر في شمال نجد بل هما الحد الشمالي لنجد. قال ياقوت(11) الحموي: "أجأ إلى الغرب من فيد بينهم مسير ليلتين فيه قرى كثيرة، ومنازل طبيء في الجبلين عشر ليالي (حوالي 450 كيلو مترا) من دون فيد إلى أقصى أجأ إلى القريات من ناحية الشام. وبين المدينة والجبلين على غير الجادة (الطريق ثلاث مراحل. وبين الجبلين وتيماء جبال منها دير وغريان وغسل، وبين كل جبلين يوم. وبين الجبلين وفدك ليلة (حوالي 45 كيلو) وبينهما وبين خبير خمس ليالي (220 كيلومترا)" .

([7]) سكاكة إحدى القريات التي منها دومة الجندل _ معجم البلدان.

([8]) الظرب واحد الظراب وهي الروابي الصغار. وقيل الظرب هو جبل محدد في السماء ليس فيه وادولا شعبة ولا يكون إلا أسود، وظريب تصغيره. وهو وضع نزلته طيىء قبل حلولها بالجبلين فجاءهم بعير ضرب في ابلهم فتبعوه حتى قدم بهم الجبلين فنزلوا بهما _ معجم البلدان.

([9]) محضر قرية بأجأ لبطون من طيىء _ معجم البلدان.

([10]) المسالك والممالك 24.

([11]) معجم البلدان .

الموطن:

والجبلان من الجبال الوعرة على ما فيهما من مراع أو مزارع متفرقة أهمها حول حائل. وأجأ سلسلة تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي حوالي خمسة وستين كيلوا مترا ولكنه باتصاله بالجبال المنفردة الواقعة في جنوبه الغربي يكون سلسلة طويلة تمتد 560 كيلو مترا إلى حرة خيبر في الحجاز، ومتوسط عرضها في الجهة الغربية 10 كيلو مترات وارتفاعها 1400 مترا عن سطح البحر، أما متوسط عرضها في الجهة الشمالية 20 كيلو مترا وارتفاعها 1700 مترا عن سطح البحر ولكنه يرتفع عن السطح المحيط به بمقدار 1000قدم. والسلسلة عبارة عن جبال متلاصقة تفصل بينها أودية وشعاب مختلفة، ويمكن اعتبارها ثلاثة جبال متوازية أكثرها ارتفاعا السلسلة الوسطى.

ويفصل بين أجا وسلمى وادي الفسن. أما سلسلة جبال سلمى فتمتد مسافة 55 كيلو مترا من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وسط بيداء منبسطة، ومتوسط عرض السلسلة 7 كيلو مترات وترتفع حوالي 1100 مترا. وتتكون السلسلة من عدد كبير من الجبال والآكام التي تفصل بينهما أودية وشعاب عديدة.

والسلستان أجأ وسلمى حجريتان والجبال المتفرقة المتشعبة منها تحيط بها الكثبان الرملية. ولا تزيد المسافة الفاصلة بين الجبلين عن عشرين ميلا من الأرض السهلة المنخفضة، وتقوم حائل عاصمة المنطقة على سفح أجأ وبما لا يزيد عن ميلين منه. وتبلغ درجة حرارة حائل صيفا 39 درجة وتنخفض إلى الصفر شتاء، ويحد المنطقة جنوبا صحراء الربع الخالي وشرقا الدهناء التي تفصلها عن الحسا.

هذه مناطق انتشار بني طيىء من تخوم الحجاز إلى تخوم العراق. فأين كان صاحبنا عدي بن حاتم من تلك الرقعة المنتشرة؟ نذهب إلى أنه إنما نشأ وعاش صدر حياته قبل الإسلام في منطقة الجبلين أجأ وسلمى، وبتحديد أكثر في الجهة الشرقية منهما، ففي هذه المنطقة بالذات أسرت السرية التي بعث بها رسول الله ﷺ بقيادة علي بن أبي طالب سَفّانَة بنت حاتم الطائي أخت عدي. لقد بعث النبي السرية لهدم الفُلْس صنم طيىء، ويقول ابن حزم(12) عن هذا الصنم: "كان بنجد قريبا من فيد تعبده طيىء، سدنته بنو بولان". ودليلنا الثاني أنه تفرع عن عمرو بن الغوث بن طيىء سبعة عشر بطنا، يقرر ابن حزم(13) أن بني هانئ بن عمرو بن الغوث رمليون (عاشوا في الرمل) أما سائر اخوتهم فجبليون، ولقد كان عدي بن حاتم من بني ثعل بن عمرو بن الغوث، فهم إذا من الجبليين الذين سكنوا الجبال. وتسعفنا السيرة بدليل ثالث، فكأنما كان رسول الله ﷺ يعلم أن عدي بن حاتم من سكان الجبل ولم يكن من سكان الرمل

([12]) جمهرة أنساب العرب 493 .

([13]) جمهرة أنساب العرب 401 .

، ولذلك وبالرغم من أنه كان من بني طيىء من نزل الحيرة فقد(14) سأله يا عدي هل رأيت الحيرة؟ وصدق جواب عدي حدس رسول الله ﷺ قال: لم أرها وقد أنبئت عنها.

كذلك نجد أدلة رابعة من شعر حاتم الطائي مثل قوله(15).

تداركني جدي بسفح متالع فلا ييأسن ذو نومة أن يغنما

وإذا عز علينا اليوم التحقق من موقع متالع، فقد كان حاتم يتحدث عن السفح ولا يكون السفح إلا لجبل. وفي تحديد أكثر قال حاتم يخاطب الحارث بن عمرو الجفني(16) وبنو جفنة كانوا ملوك العرب بالشام(17).

إنما بيننا وبينك فاعلم سير تسع للعاجل المنتاب

---

(14) البخاري شرح الكرماني 178/2 .

(15) الإصابة 5477 – 2433 ، والاستيعاب 258/2 ، 140/3 .

(16) ديوان حاتم الطائي 87/9 .

(17) ديوان حاتم الطائي 27 .

فثلاث من السراة إلى الحلبط للخيل جاهدا والركاب

وثلاث يردن تيماء رهوا وثلاث يغررن بالإعجاب

فسير تسع إلى الشام للمتعجل من ديار طيىء يمتد ببحثنا عن موطن عدي إلى منتهى الجبلين من جهة الشرق. فهو الذي يصدق عليه هذا القول ويتضافر مع الأدلة السابقة. وعلى ذلك نستطيع القطع بأن عدي بن حاتم نشأ في جبلي طيئ ونرجح بل نكاد نقطع أنه كان تجاه فيد وبناحيتها.

اللهجة:

ولقد كانت لطيئ -شأن كل قبائل العرب- لهجتها العربية الخاصة بها، من ذلك ما يعبر عنه بالقطعة، وهي لثغة في بني طيئ بأن(18) يقول يا أبا الحكا، يريد يا أبا الحكم فيقطع كلامه. وقطعة طيئ كانت معروفة أيضا ببلاد اليمن فكانوا يقولون يا بلحكم. وقال الفراء(19) سمعت بعض بني نبهان من طيئ يقول دأني يريد دعني وتآله يريد تعاله فيجعلون مكان العين همزة. والطائيون يقولون ناصاة، فالكسرة بعدها ياء يقلبونها ألفا في الفعل والاسم. في بِقَي بَقَي وفي رَضِيَ رَضَا وفي بادية باداة وفي ناصية ويبدو أن ذلك لم يكن على إطلاقه فلم يرو عنهم في يمشي ويرمي.

(18) لهجات العرب 13 – 14 عن القاموس وشرحه، والسان، وشفاء الغليل 181 .

(19) لهجات العرب 52 .

النسب والبطون:

ولقد كان لبني طيئ موقف موال للفرس يوم(20) ذي قار الذي هزمت فيه العرب (بنو شبيان) الفرس في معركة لأول مرة في التاريخ. وكان بين أسد وغطفان وطيئ(21) حلف في الجاهلية، وكان لذلك الحلف ذكر في حروب الردة. والجد الأكبر للقبيلة الذي انتسبت إليه وتسمت باسمه هو طيئ(22) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. ولقد تفرعت طيئ إلى بطون وأفخاذ عديدة منها بنو الغوث وبنو جندب (وقد اشتهروا ببني جديلة وهي أمهم وهم غير(23) جديلة التي من قبائل ربيعة) وبنو رومان وجدعاء ابن رومان والثعالب وبنو تيم وبنو علوة وبنو زنمة بن عمرو وبنو لام بن عمرو بن طريف وبنو أشنع بن عمرو و مصاد وحجية وقرواش وثمل وسلامان وجرول وبحتر وبولان وسنبس.. الخ. غير أن جمهور(24) النسابين ينسبون إلى طيئ ولا ينسبون إلي أحد من بطونه وأفخاذه .

(20) الطبري 205/2 .

(21) الطبري 257/3 .

(22) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة .

(23) المعارف 116 .

(24) المعارف 105 .

حاتم (25) بن عبد الله الطائي

الأب:

إذا ذكرنا عدي بن حاتم فلابد أن تتعلق الأذهان تلقائيا بأبيه حاتم الطائي ذي الشهرة الواسعة والصيت الذائع. وحاتم كان سيداً من سادات طيئ وأشرافها وشاعراً من شعراء الجاهلية وفارساً من فرسانها. اشتهر بالشجاعة والعفة والإنسانية، وأكبر شهرة حازها حاتم كانت في الكرم والجود والسخاء وحب الضيافة ومواساة الأرامل وإنقاذ الأسري. ويبدو أن حاتما قد ورث الكرم عن أمه عتبة بنت عفيف، فقد أثر عنها أنها كانت من أسخى الناس لا تمسك شيئا تملكه حتى حجر عليها إخوتها.

ولقد كان لحاتم ابنته سّفَّانَة وهي أكبر ولده (وسفانة تعني لؤلؤة) فكان حاتم يكني بأبي سفانة وبأبي عدي. وكانت سفانة أيضاً من أجود نساء العرب حتى قال لها أبوها: "يا بُنية، إن القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطي وتمسكي أو أمسك وتعطي، فانه لا يبقى على هذا شيء" فقالت: "والله لا أمسك أبدا". قال: "وأنا لا أمسك"، قالت: "لا نتجاور". فقاسمها ماله وافترقا.

وحاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أمريء القيس ابن عدي ابن أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيئ. ولقد كان عبد الله أبو حاتم من سادات قبيلته أيضا ولكنه توفي وحاتم صغير فكان حاتم في حضانة جده سعد. جده هذا كان كريما أيضا وفيه قال الشاعر:

إن المروءة والسماحة والندى في قبة ضربت علي ابن الحشرج

ولكنه مع ذلك لم يتحمل إسراف حفيده حاتم ففارقه.

الأم:

ولقد كان حاتم بالحيرة وكان متزوجا حين خطب ماوية بنت عفزر (أم عدي) وكانت من سادات العرب. فاشترطت عليه أن يخلى سبيل امرأته فأبي وانصرف، فلما ماتت امرأته عاد حاتم إلى ماوية فخطبها وتزوجها وولدت له عديا. وكان بعض النساء في الجاهلية يطلقن الرجال فإن كن في بيت من شعر حولن الباب فإن كان قِبل المشرق حولنه إلى المغرب وإن كان قِبل اليمن حولنه قِبل الشام فإذا رأى زوجها ذلك علم أنها طلقته. وكان لحاتم ابن عم له اسمه مالك، ظل يغري ماوية على طلاق حاتم ويقول لها: والله لئن وجد شيئا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن وان مات ليتركن ولده عيالاً على قومك. طلقي حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك". طلقت ماوية حاتما. وجاء حاتم فوجدها قد حولت باب الخباء فقال: "يا عدي، ما ترى أمك عدا عليها" قال: لا ادري غير أنها قد غيرت باب الخباء. وكأن عديا لم يفطن لما حدث، فدعاه حاتم فنزل به بطن واد. وجاء خمسون رجلا فنزلوا علي باب الخباء ضيوفا وضاقت بهم ماوية ذرعاً فأرسلت إلى مالك ليطعمهم

فلم يفعل، فأرسلت إلى حاتم فرجع إليها وجاء باثنين من إبله فقدمها لضيوفه، فطفقت ماوية تصيح وتقول: "هذا الذي طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شئ! فقال حاتم:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا يتردد

كرم وفضائل:

حدثت ماوية فقالت: أصابت الناس سِنَة (مجاعة) فأذهبت الخف والظلف. فأتت ليلة قد أسهرنا الجوع، فأخذ (حاتم) عديا وأخذت سفانة وجعلنا نعللهما حتى ناما. ثم أقبل عليّ يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام فرققت له لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام. فقال لي أنمت غرار؟ فلم أجب فسكت. فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة، فقال: "ما هذا"؟ قالت: يا أبا سفانة أتيتك من عند صبية جياع يتعاوون كالذئاب جوعاً. فقال: أحضريني صبيانك فوالله لأشبعنهم! فقمت سريعا فقلت بما ذا يا حاتم! فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل. فقال: والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها. فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها ثم قدح نارا ثم أججها ثم دفع إليها الشفرة فقال اشتوى وكلي. ثم قال: أيقظي صبيانك. فأيقظتهم. ثم قال والله هذا للؤم، تأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم! فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتا فيقول: انهضوا، عليكم بالنار. فاجتمعوا حول تلك الفرس، وتقنع بكسائه فجلس ناحية فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر وأنه لأشد جوعا منهم وما ذاقه!

امرأة حاتم -أم عدي- هذه ذكرها بعض الرواة باسم النوار(25) بنت رملة البحترية. يروي ملحان بن حليس وكان أخا لعدي بن حاتم من أمه قال: "قلت للنوار: أي أمه، حدثينا عن بعض أمر حاتم. فقالت: كل أمره كان عجبا. أصابتنا سنة حتى أيقنا الهلاك وذكرت القصة" وكان حاتم إذا سجي الليل أمر غلامه (عبده) أن يوقد نارا على مرتفع من الأرض حتى يراها الضال السائر فيؤمها ويقول:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا موقد ريح صر

عسي يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر

وروي ابن(26) الكلبي عن رجالات طيئ قالوا: كان حاتم جوادا شاعرا وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان ظفر إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب إذا ضرب بالقداح سبق وإذا أسر أطلق، وكان أقسم بالله لا يقتل واحد أمه.

وحين حضرته الوفاة قال حاتم أني أعهدكم من نفسي بثلاث، ما خاتلت جارة لي قط أراودها عن نفسها، ولا أؤتمنت على أمانة ألا قضيتها، ولا أُتي أحد من قبلي بسوءة (أو قال بسوء).

---

[25] عيون الأخبار 336/3 .

[26] الإصابة 1996 و 8461 .

وكانت وفاه حاتم عام 605 م حوالي عام 18 قبل الهجرة، أو قبل بعث رسول الله ﷺ بخمس سنوات، وكان عدي بن حاتم حين مات أبوه قد بلغ ما بين الثالثة والثلاثين والخامسة والثلاثين من عمره، ويكون قد بلغ الثانية والخمسين عام الهجرة، وهذا يعني أنه كان يقارب رسول الله ﷺ في السن.

لماذا تلك الفضائل:

لقد عاش حاتم طيئ في الجاهلية ومات في الجاهلية، فماذا كانت بواعثة على الكرم والشجاعة وما تحلى به من فضائل؟ إن أول ما يطالعنا في هذا الأمر أن العرب قاطبة كانوا يحبون الفخر، فهل كان حاتم كذلك؟ أكان كريما ليقال كريم، وكان شجاعا ليقال شجاع؟. بلا ريب لقد كان يعلم أن الناس سوف يقولون، ومن شعره(27) في ذلك:

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيدا

ومع ذلك فقد كان يخالط ذلك في نفس حاتم -رغم جاهليته- حب تلك الخصال لذاتها بصرف النظر عن دواعي الفخر ومديح الناس، وفي ذلك(28) يقول:

وقائلة أهلكت بالجود مالنا ونفسك حتى ضر نفسك جودها

فقلت دعيني إنما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدها

(27) ديوان حاتم الطائي 41 .

(28) ديوان حاتم الطائي 44 .

وقوله(29):

وإني لأخزى أن ترى بي بطنة وجارات بيتي طاويات وتحف

كما نجد في شعر حاتم عن خصاله وفضائله تلك أن الله كان نفسه واعتباره. من ذلك قوله(30):

كلوا الآن من رزق الإله و أيسروا فإن على الرحمن رزقكم غدا

بل من شعره أيضا ما ينص صراحة على أنه كان يبتغي وجه الله، قال(31):

فلو كان ما يعطي رياء لأمسكت به جنبات اللوم يجذبنه جذبا

ولكنما يبغي به الله وحده فأعط فقد أربحت في البيعة الكسبا

(29) ديوان حاتم الطائي 70 .

(30) ديوان حاتم الطائي 30 .

(31) ديوان حاتم الطائي 30 50 ، زلج يعني مغلقة .

وقال(32):

أماوى ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر

إذا أنا دلاني الذين أحبهم لملحودة زُلْجٍ(33) جوانبها غبر

وراحوا عجالا ينفضون أكفهم يقولون قد دمى أناملنا الحفر

وقال(34):

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحي العظام البيض وهي رميم

لقد كنت أطوي البطن والزاد يُشتهى مخافة يوما أن يقال لئيم

ولقد تحلى حاتم بفضائل أخرى كان يفخر بها مثل ستره على جاراته وأنه في حروبه وقتاله لم يكن يقتل أو يأسر وحيد أمه بل كان يمن عليه. وفي ذلك يقول(35)

---

(32) ديوان حاتم الطائي 50 .

(33) زلج يعني مغلقة .

(34) ديوان حاتم الطائي 86 .

(35) ديوان حاتم الطائي 35 .

فأقسمت لا أمشي إلى سر جارة مدى الدهر مادام الحمام يغرد

وقال(36) يخاطب امرأته مأوية أم عدي:

أمأوى أني رب واحد أمه أجرت فلا قتل عليه ولا أسر

وما ضر جارا يا ابنة القوم فاعلمي يجاورني ألا يكون له ستر

بعيني عن جارات قومي غفلة وفي السمع مني عن حديثهم وقر

وكان حاتم رجلا طويل الصمت، وكان(37) يقول:

إذا كان الشيء يكفيكه الترك فاتركه. كما قال(38): العاقل فطن متغافل.

(36) ديوان حاتم الطائي 51 .

(37) عيون الأخبار 178/2 .

(38) عيون الأخبار 385 .

بذلك استحق حاتم الطائي الذي توفي قبل الرسالة بخمس سنوات ثناء رسول الله ﷺ حين خاطب سفانة بنت حاتم وقد وقعت في الأسر فقال: ".. هذه صفة المؤمن! لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق". ولا شك أن تلك المكارم قد انعكس منها شيء كثير على صاحبنا عدي بن حاتم. ولقد إعتنق عدي(39) النصرانية قبل الإسلام، وفي هذا ما فيه من الدلالة علي رجاحة عقله وتفكره وتدبره حتى أنه ترك عبادة الأوثان إلى دين سماوي من أديان الكتب، تلك الصفات والمكارم لابن حاتم صقلها الإسلام وزانها وزادها فكان عدي كما قيل عنه أبرك رجل على قومه.

---

(39) ابن هشام 578/2 .

يوم اليحاميم:

ولو أن عدي بن حاتم قد أكتسب شهرته كبطل من أبطال حروب الردة ومن أبطال الفتوح إلا أننا نجد له ذكراً في بعض الحروب الجاهلية في حياة أبيه حاتم، ذلك ما يعرف في أيام العرب بيوم اليحاميم. فقد كانت حرب بين الغوث وجديلة، وكان الحارث بن جبلة الغساني قد أصلح بين بطون طيئ، فما أن مات حتى عادت إلى حربها، والتقت جديلة والغوث في حرب جديدة فقتل أسبع بن عمرو بن َلأْم قائد بني جديلة وقطع رجل من سنبس أذنيه فخصف بهما نعليه فقال شاعرهم أبو سروة السنبسي .

نخصف بالآذان منكم نعالنا ونشرب كرها منكم في الجماجم !

وكثر الشعر بين جديلة والغوث. وعظم ما صنعت الغوث على أوس ابن خالد بن لأم ولم يكن شهد الحرب ولا أحد من رؤساء طيئ كحاتم بن عبد الله وزيد الخيل وغيرهما من الرؤساء، فتجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة، وعلمت الغوث بذلك فأوقدت النار على ذروة أجأ فأقبلت بطون الغوث على كل بطن رئيسها ومنهم زيد الخيل وحاتم ومعه ولده عدي كما، أقبلت جديلة وقد اجتمعت علي أوس بن حارثة وحلف ألا يرجع عن طيىء حتى يغزو جبليها أجا وسلمى وتجبى له أهلها وتزاحفوا فاقتتلوا قتالاً شديداً.

يروي عدي بن حاتم عن ذلك اليوم فيقول: "أنى لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون، إذ نظرت إلى زيد الخيل قد أحضر ابنيه مكنفاً وحريثاً في شعب لا منفذ له وهو يقول: أي بني أبقيا على قومكما فإن اليوم يوم التفاني، فان يكن هؤلاء أعماما فهؤلاء أخوال: فقلت: كأنك قد كرهت قتال أخوالك؟ فاحمرت عيناه غضبا وتطاول إلي حتى نظرت إلى ما تحت سرجة فخفته، فضربت فرسي وتنحيت عنه واشتغل بنظره إلي عن ابنيه، فخرجاً كالصقرين ثم انهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتل ذريع".

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحاميم ودخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم حتى عادوا إلى الظهور مع الغوث في حروب الردة وفتوح العراق.

ويروي ابن حزم رواية مقتضبة تدل على ما كان لعدي بن حاتم من مكانة حتى عند أعداء قومه في الجاهلية قال: "كان بنو عاملة حلفاء لبني كلب فغزوا معها طيئاً فأسر رجل اسمه قعيسيس من عاملة عدي بن حاتم، فانتزعه منهم شعيب بن الربيع بن مسعود العليمي من كلب وقال له: ما أنت وأسر الأشراف؟! وأطلقه بغير فداء"(40).

---

(40) جمهرة أنساب العرب 420 .

مع الرسول

ظهور الإسلام:

كان هؤلاء العرب البدو من قبيلة طيئ يقيمون في مواقعهم ومحلاتهم من ديار بني طيئ من بين الجبلين يروحون ويجيئون بينهما لا يشغلهم شيئ سوى ما يشغل أمثالهم من بدو الصحراء من السعي وراء الكلأ يرعونه إبلهم وشاءهم أو يشتبكون مع جيرانهم أو ينشدون الشعر في الغزل أو الفخر غالبا ولا شيء أكثر من ذلك. إذا أردنا أن نصف تلك الحياة لما وجدنا لها صفة أشمل من التيه في الفكر والضياع في الصحراء.

ولكن هناك أمرا جسيما جللا كان يحدث في غار يطل على قرية بواد غير ذي زرع. في مكة المكرمة. كان وحي يتنزل من عند الله تبارك وتعالى علي نبي آن أوانه. على نبيه ورسوله إلى خلقه محمد ﷺ. وانتصر لدين الله قلة من المؤمنين، وبغى عليه وعليهم الكثرة الوثنية المشركة من قريش وقبائل العرب، فكان من أحداث السيرة وأخبارها ما هو معروف للكافة. هذا وقبيلة طيئ في مساكنها التي ذكرنا كانت بعيدة عن مكة وعن المدينة، بعيدة عن مسرح العمليات سواء في ذلك الإسلامية أو المضادة للإسلام في الردح الأول من ظهور الدعوة وإلى ما بعد الهجرة. وكأننا ببني طيئ مازالوا مقيمين أو غادين رائحين وراء الكلأ من الجبلين أجا وسلمى حتى الحيرة.

تحطم(41) صنم طيىء:

فلما كان شهر ربيع الآخر من العام التاسع بعث رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب في سرية إلى الفلس صنم طيئ ليهدمه. كانت السرية مائة وخمسين من وجوه الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا. وكانت الراية سوداء يحملها سهل بن حنيف وكان اللواء أبيض يحمله جبار بن صخر السلمي وكان دليل السرية رجل من بني أسد جيران طيئ يدعى حريث. فشنوا الغارة مع خيوط الفجر على محلة آل حاتم وغنموا ما وجدوا من النعم والشاء وسبوا النساء وهدم علي ﷺ الصنم وخربه ثم عاد. وكانت في السبي سفانة بنت حاتم أخت عدي، كما غنموا من بيت الفلس (الصنم) سيفين هما رسوب والمخذم وقيل ثلاثا بإضافة سيف يدعي اليماني، وثلاثة أدراع. وقسم علي الغنائم والسبي إلا آل حاتم فإنه قدم بهم المدينة وبالخمس مما غنموا وبالأسياف.

---

(41) الطبري 111/3 .

سفانة الأسيرة:

أين كان عدي من تلك الغارة ومن أسر أخته؟

يروي عدي بنفسه ما كان من ذلك فيقول: "ما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرأ شريفا، وكنت نصرانيا أسير في قومي بالمرباع(42) فكنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي. فلما سمعت برسول الله كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعيا لإبلي: لا أبا لك! اعدد لي من إبلي أجمالا ذللا سمانا مسان فأحبسها قريبا مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنّي. ففعل. ثم أنه أتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد. فقلت قرب لي جمالي، فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الحَوْشِيَّة وخلفت ابنة حاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها".

وتخالفني خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصيب. فقدم بها علي رسول الله في سبايا طيئ وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن بها. فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة، فقالت: "يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك".

---

(42) ابن هشام 578/2 .

قال: ومن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم.

قال: الفار من الله ورسوله؟!

ثم مضى رسول الله ﷺ وتركها. حتى إذا كان من الغد فقالت له مثل ذلك وأجابها بمثل جواب الأمس. حتى إذا كان بعد الغد مر بها وقد يئست منه فأشار إليها رجل من خلفه أن قومي فكلميه، فقامت إليه فقالت: "يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي سيد قومه. كان يفك العاني ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده. أنا ابنة حاتم طيء فامنن علي من الله عليك.

فقال ﷺ: يا جارية قد فعلت، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني. ثم قال لأصحابه: خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

فسألت سفانة عن الرجل الذي أشار إليها أن تكلمه فقيل علي بن أبي طالب ؓ.

وأقامت بالمدينة بدار(43) رملة بنت الحارث الأنصارية حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة، وإنما تريد أن تأتي أخاها عديا بالشام. فجاءت رسول الله ﷺ فقالت له: "يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ" . تقول سفانة " فكساني رسول الله ﷺ وحملني (تعني على بعير) وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ".

---

(43) إمتاع الأسماع 445.

وهي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. ذكرت في المبايعات. ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة حبسوا في دار رملة بنت الحارث (الإصابة 432 نساء . أسد الغابة 6923) وقدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشر نفر فأنزلوا دار رملة وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء فأسلموا (ابن سعد 44/2/1). وفي سنة تسع قدم وفد من بني كلاب ثلاثة عشر رجلاً فأنزلهم رسول الله ﷺ دار رملة (ابن سعد 44/2/1) وفي سنة تسع قدم وفد عبد القس عشرون رجلا فأنزلهم دار رملة بنت الحارث وأجرى عليهم ضيافة (ابن سعد 54/2/1 و 406/6/5) وقدم وفد تغلب ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب فنزلوا دار رملة (ابن سعد 55/2/1) كما أنزل بدارها وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلا فيهم مسيلمة الكذاب وأجريت عليهم ضيافة (ابن سعد 61/2/1) ووفد بني عذرة اثنا عشر رجلا في صفر 9 هـ (ابن سعد 66/2/1) ووفد غسان ثلاثة نفر في شهر رمضان. اهـ (ابن سعد 71/2/1) ووفد الرهاويين من مذحج سنة عشر فأتاهم رسول الله ﷺ فتحدث عندهم طويلا (ابن سعد 76/2/1) ووفد النخع وهم مائتا رجل للنصف من محرم 11 هـ (77/2/1 و 387/5) فأسلموا (إمتاع الأسماع 535). وبعث النبي عيينة بن حصن الفزاري في سرية

من خمسين فارسا من العرب ليس فيها مهاجري ولا أنصاري إلى بني تميم فأسروا أحد عشر رجلا وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيبا وعاد بهم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث (ابن سعد 2 / 1/ 116 وامتاع الاسماع 434) وأسر حذيفة بن اليمان الأزدي الذين ارتدوا في دباء وبعث بهم الي المدينة فما زالوا محبوسين بدار رملة بنت الحارث حتى توفي أبو بكر فأطلقهم عمر (ابن سعد 1/7 /72) .

وفد(44) طيئ:

وشاع الإسلام في شبه الجزيرة فأقبلت وفود القبائل من أنحائها إلي رسول الله ﷺ بالمدينة تبايع على الإسلام. وجاء وفد طيئ خمسة عشر رجلا سنة عشر، فيهم زيد الخيل وهو يومئذ سيدهم. لقد كان من جيل حاتم الطائي فضلاً عن غياب عدي بن حاتم فاراً إلى الشام. وعرض النبي ﷺ عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ثم عادوا إلى ديارهم. وفي الطريق توفي زيد الخيل بموضع يقال له الفردة.

إسلام عدي:

قدمت سفانة الشام على أخيها، يروي(45) عدي القصة فيقول: "فوالله أني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة(46) تصوب إلي تؤمنا، فقلت ابنة حاتم، فإذا هي! فلما وقفت علي انسلحت(47) تقول: "القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك وتركت بنية والدك وعورته!

قلت: يا أخية لا تقولي إلا خيراً، فوالله مالي عذر، لقد صنعت ما ذكرت. ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

---

(44) ابن هشام 2/ 577 ، ابن سعد 60/2/1

(45) الطبري 3/ 114 عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن ثيبان بن سعد الطائي. ابن هشام 580/2.

(46) الظعينة: المرأة في الهودج ؟

(47) اشتدت في اللوم .

قالت: أرى والله أن نلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فالسابق إليه له فضيلة وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت.

قلت: والله أن هذا للرأي.

فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه.

فقال: من الرجل ؟

فقلت: عدي بن حاتم.

وقال القوم: هذا عدي بن حاتم!

وجئت بغير أمان ولا كتاب.

فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي وقد كان قبل ذلك قال أني أرجو أن يجعل يده في يدي، فانطلق بي إلى بيته، فوالله أنه لعامد بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي والله ما هذا بملك. ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته فتناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها إلي فقال لي أجلس على هذه.

قلت: لا بل أنت فاجلس عليها.

قال: لا بل أنت.

فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: أيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركوسيا(48)؟

قلت: بلى.

قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟

فقلت: بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك.

قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل.

ثم قال: لعله يا عدي بن حاتم إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم! فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم؟ فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت".

---

(48) قوم دينهم بين النصارى والصابئين

ثم قال ما يُفِرُّك. أيفرك أن تقول لا إله إلا الله فهل تعلم من إله سوى الله؟

قلت: لا. وتكلم ساعة ثم قال: إنما نَفِر أن يقال الله أكبر، وهل تعلم شيئا أكبر من الله؟

قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون. فقلت: أني حنيف مسلم.

فرأيت وجهه ينبسط فرحاً. ثم أمرني فنزلت عند رجل من الأنصار، وجعلت أغشاه آتيه طرفي النهار. فبينا أنا عنده إذ جاء قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار فصلى وقام فحث عليهم، ثم قال: "يا أيها الناس ارضخوا من الفضل ولو بصاع، ولو بنصف صاع، ولو بقبضة، ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة، ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة. فإن أحدكم لاقى الله وقائل له ما أقول لكم. ألم أجعل لك مالا وولدا؟ فيقول بلى، فيقول أين ما قدمت لنفسك؟ فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئا يقي به وجهه حر جهنم، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة، فإني لا أخاف عليكم الفاقة، فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة ما بين يثرب والحيرة وأكثر، ما يخاف على مطيتها السرق"

فجعلت أقول في نفسي فأين لصوص طيئ!!"

هكذا أسلم عدي بن حاتم في شهر شعبان من عام اختلف فيه، قيل سنة سبع وقيل سنة تسع وقيل سنة(49) عشر ونذهب إلى أنه الصحيح حيث كانت سرية على بن أبي طالب إلى ديار طيئ في شهر ربيع الآخر سنة تسع، فيمتنع أن يكون إسلام عدي سنة سبع، كما وأن ما بين شهر ربيع الآخر وشهر شعبان من سنة تسع نراه يقصر عن عودة سرية على وما كان بعد ذلك من بقاء سفانة في المدينة ثم رحيلها إلى عدي بالشام ثم قدومه إلى المدينة.

وكان عدي بعد ذلك يقول: مضت الثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن. قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئا حتى تحج هذا البيت. وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

كرام عند كريم

ذلك الحوار الذي كان من سفانة بنت حاتم إلى رسول الله ﷺ اعتمدت فيه أساساً على عنصرين واضحين غاية الوضوح. أولهما أنها كانت من بيت كريم وابنة رجل كريم تحلى من مكارم الأخلاق بقدر عظيم.

(49) الطبري 140/3.

وثانيهما أن مخاطبة رسول الله ﷺ بهذا هو المدخل المناسب الذي ارتأته سفانة إلى القلب الكبير للرسول وإلى عقله الراجح ونفسيته الرشيدة، فهو نبي كريم يحب مكارم الأخلاق ويحث عليها. وإن التوسل إليه بالأخلاق الفاضلة لأبيها لابد وأن يكون خير سفير إلى نفسه. وقد كان. وكان لذلك أثره في نفسها فأسلمت وحسن(50) إسلامها.

ونفس الشيء كان من عدي بن حاتم. لم ينطق به فمه كما نطقت به سفانة، ولكنه ذكره بفعاله. فإن حضوره بقدميه إلى المدينة بغير أمان سابق ولا كتاب ولا إشهار إسلام، لم يكن يعني سوى اعتماد عدي اعتماداً تاما على ما في نفس الرسول ﷺ من مكارم وعلى تقديرها عند من يتحلى بها. ولقد جاء عدي إلى المدينة مطمئنا إلى ذلك ومستكشفا ذلك الرجل الرسول الذي لم يره من قبل، فلم يلبث أن رأى وسمع منه ما اطمأنت به نفسه إلى صدق رسالته.

لمحة ثانية تستوقف النظر. لقد كانت سرية علي بن أبي طالب مائة وخمسين من المسلمين، أفلم يكن في مقدور عدي بن حاتم وهو في دياره أن يواجه هذه السرية بدلا من الفرار إلى الشام؟! سوف نرى بعد ذلك أن عديا استطاع في حروب الردة أن يجمع ألف فارس من بني طيئ، ألم يكن في استطاعته أن يدفع عن دياره وعن صنم قومه

---

[50] أسد الغابة 7/143-6988.

وعن أخته التي أخذت أسيرة في سبي طيئ، لا سيما وقد كان يتوقع أن يطرق المسلمون أرضه ودياره؟! إن تعليل الأمر وتفسيره ليس سهلا، ولا يسعنا هنا أن نقول شيئا مؤكدا سوى أنها كانت إرادة الله حتى يدخل في الإسلام قلب عدي بن حاتم رضي الله عنه.

ليس معلوماً لنا كم أقام عدي بالمدينة مع الرسول قبل أن يعود إلى ديار طيئ، ولقد ذهبنا إلى أن إسلام عدي كان في شهر شعبان سنة عشر، وفي هذه السنة بعثه النبي ﷺ على صدقات(51) بني طيئ وبني أسد فلما دخل ذو القعدة من هذا العام تجهز رسول الله ﷺ إلى حجة الوداع. وعلى ذلك تكون إقامة عدي بالمدينة في حدود ثلاثة أشهر لم تجاوزها هي ما بين شعبان إلى ذي القعدة. في تلك الفترة القصيرة نزلت الآية الرابعة من سورة المائدة في عدي بين حاتم.

([51]) الطبري 147/3، الطبقات الكبرى 60/2/1.

كلاب الصيد:

فقد ذكر القرطبي(52) أن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل (وهو زيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير) قالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن الكلاب تأخذ البقر(53) والحمر والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته (ذبحه) ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا؟ فنزلت الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾[المائدة: 4].

ونلاحظ أن زيد الخيل كان قد وفد على النبي ﷺ قبل ذلك مع وفد بني طيئ ثم توفي في طريق عودته وعلى ذلك نرى تناقضا بين ما روي عن وفاة زيد الخير وبين أن يكون مع عدي بن حاتم كسبب من أسباب نزول الآية، ونرى أن اسم زيد في هذه الرواية قد أقحم على الواقعة إقحاما. ويؤيد هذا الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم وقد انفرد بروايتها في نفس الموضوع عدي بن حاتم.

---

(52) الجامع لأحكام القرآن.

(53) انقرضت هذه الحيوانات الآن من صحراء جزيرة العرب.

ويمضي القرطبي فيذكر أنه كان لعدي كلاب خمسة قد أسماها بأسماء وهي سلهب وغلاب والمختلس والمتناعس، وشك السهيلي الرواي في الخامس فقال هو أخطب أو وثاب.

وقد أخرج البخاري(54) خمسة أحاديث كما أخرج

مسلم(55) في صحيحه أحد عشر حديثا، هذه وتلك كلها متنوعة في أسانيدها متقاربة في معناها يكمل بعضها بعضا وجميعها تنتهي إلى عدي ابن حاتم يرويها عن رسول الله ﷺ، ننتخب منها الأحاديث الآتية:

عن عدي بن(56) حاتم قال: قلت: يا رسول الله أني أرسل الكلاب المعلمة فيمسكن على، وأذكر اسم الله عليه.

فقال: "إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل" قلت: وإن قتلن؟ قال: "وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس معها". قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب. قال: "إذا رمين بالمعراض فخزق فكله وإن أصابه بعرضه فلا تأكله". (وفي رواية فهو وقيذ. يعني من الموقوذة وهي التي ماتت من الضرب). والمعراض هو السهم الثقيل الذي لا ريش له ولا نصل وفي القاموس المعراض سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده.

([54]) في كتاب البيوع وكتاب الذبائح والصيد.

([55]) في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.

([56]) صحيح مسلم 56/6.

عن عدي(57) بن حاتم قال قال لي رسول ﷺ "إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدركته حيا (يعني الصيد) فأذبحه، وأن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله، وأن وجدت مع كلبك كلبا غيره وقد قُتِل فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما قتله. وإن رميت سهمك فاذكر اسم الله، فإن غاب عنك يوما فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت، وإن وجدته غريقا في الماء فلا تأكل".

قال عدي(58) للنبي ﷺ يرمي الصيد فيُفتقرُ أثره اليومين والثلاثة ثم يجده ميتا وفيه سهمه.

قال: "يأكل إن شاء الله".

وكذلك أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي، فقال: "ما أمسك عليك فكل".

قال القرطبي في إسناده مجالد ولا يعرف إلا من جهته وهو ضعيف.

كما أخرج أبو داود عن عدي قوله: إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وأن أكل منه، وكل ما ردت عليك يدك. وقال القرطبي(59) لا يصح.

---

(57) صحيح مسلم 58/6 كتاب الصيد والذبائح.

(58) البخاري 5137 كتاب الصيد والذبائح.

(59) الجامع لأحكام القرآن 70/6.

وأحاديث أخر

ولا شك أن هذه الفترة التي قضاها عدي بن حاتم بالمدينة في صحبة رسول الله ﷺ كانت زاخرة بالخير بل كانت أزهر أيام حياته، وقد روى خلاف ما ذكرنا أحاديث أخر. من ذلك ما رواه عن النبي ﷺ، قال: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة". البخاري ومسلم(60).

وعن عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال: "اتقوا الله ولو بشق تمرة فإنكم تجدوا فبكلمة طيبة". (رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والبخاري ومسلم(61)).

وأخرج الترمذي(62) عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قوله: "أفضل الصدقات ظل الفسطاط في سبيل الله عز وجل، أو منحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله".

كما أخرج الطبراني(63) في الوسط عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ أنه قال: "من ضم يتيما له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة".

([60]) الكنز الثمين52.

([61])الكنز الثمين52- البخاري – كتاب الرقاق اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان 210/1

([62])الكنز الثمين 379.

([63])الكنز الثمين 3749.

وقد أخرج مسلم(64) عن أبي طريف عدي بن حاتم الطائي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى" .

ولربما دلتنا هذه الروايات على جوانب من شخصية عدي، ففي مذاهب بعض رجال الحديث أنه يشترط لصحة الحديث ألا يعمل الراوي(65) بخلافه- ولو أن جمهور العلماء يذهب إلى أن عمل الراوي بخلاف ما يروي لا يضر الحديث الصحيح ولا يخرجه عن صحته- إلا أننا نطمئن إلى أن روايات عدي هذه إنما تعني- فيما تدل- على أنه كان يتقى النار ولو بشق تمرة وأنه كان يتقي الله ولو بالكلمة الطيبة، ولربما كان يتصدق بالفسطاط وبمنحة الخادم وطروقة الفحل في سبيل الله، وبضم اليتيم حتى يغنيه الله .

أخوة عدي

ولقد كان لعدي اخوة من أمه، فقد تزوج رجل يدعى زياد بن غطيف ابن حارثة بن سعد بن الحشرج -يلتقي بحاتم في جده سعد بن الحشرج- تزوج ماوية (أو النوار) امرأة حاتم فأنجبت منه قبيعس ولأم وحليس وملحان ابن زياد.

([64]) رياض الصالحين 56.

([65]) جمهور الحنفية وبعض المالكية (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث 700)

هؤلاء الأخوة لم نقف لهم على أي ذكر في شأن سرية على ابن أبي طالب، ولم تعاتبهم سفانة كما عاتبت عدياً، ولعلهم لم يكونوا في محلة حاتم حين أغار عليها علي. وليس في الآثار المروية ما يفيد أنه كان بين حليس وملحان وبين عدي ما يكون بين الأخوة من أخوة ومودة. ونفتقد في المصادر أخبار حليس في حين نجد من أخبار ملحان أنه أتى أبا بكر في جماعة من طيئ خمسمائة أو ستمائة فقال: إنا أتيناك رغبة في الجهاد وحرصاً على الخير، فقال له أبو بكر: الحق بأبي عبيدة فقد رضيت لك صحبته. فلحق به وشهد معه المواطن. وقال ابن سعد: كان لعدي بن حاتم اخوة من أمه أشراف منهم قبيعس(66) مات في الجاهلية، ولأم استخلفه على المدائن لما توجه إلى صفين، وحليس وملحان،. وشهد ملحان صفين مع معاوية في حين شهدها عدي مع علي.

ليس في المرويات ما يفيد إن كانت ماوية قد تزوجت زياد قبل حاتم أو بعده ولكننا قد نستنتج من زعامة عدي لقبيلته في وجود هؤلاء الإخوة أنه كان أكبر منهم سنا، بمعنى أن حاتما سبق زيادا على ماوية.

---

(66) الاصابة 8461.

حروب الردة

ارتداد العرب

كانت وفاة[67] رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول11هـ فولى الخلافة أبو بكر الصديق ﷺ. فلم تثبت قبيلة بأسرها على الإسلام إلا ما كان من قريش بمكة وثقيف بالطائف وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار، أما سائر القبائل فقد جاءت أخبارها من أقطار شبه الجزيرة بارتداد عامتهم أو بعضهم. بعض تلك الحركة لم تكن ردة عن دين الإسلام بقدر ما كانت رفضا للخضوع لسلطان المدينة وأداء الزكاة إليها، ولكن بعضها كان ردة عن الإسلام حتى أن بعضهم أوغل في ذلك فادعى النبوة. أولئك كانوا "الأسود العنسى" باليمن "ومسيلمة الكذاب" في بني حنيفة باليمامة "وطليحة ابن خويلد" في بني أسد "والمتنبئة سجاح" في الجزيرة. ولقد سبق أن ذكرنا أن حلفاً في الجاهلية كان يجمع بين أسد وغطفان وطيئ. وأحدث ذلك الحلف أثره فانحاز إلى طليحة -وقد تزعم ردة بني أسد- المرتدون من طيئ وغطفان وأشجع، وقامت تلك الشراذم من المرتدين تنكل بالثابتين على إسلامهم وتفتك بهم.

([67]) الطريق إلى المدائن 157– 159.

وأراد مرتدو عبس وذبيان - وكانت منازلهم شمالي المدينة - انتهاز الفرصة فزحفوا يريدون غزو المدينة غير أن أبا بكر بادرهم فخرج إليهم بالمسلمين في جمادى الأولى أو الثانية 11هـ وكبسهم من آخر الليل وغلبهم على أرضهم فانحازت غلولهم إلى بزاخة حيث كان طليحة بن خويلد فيمن اجتمع إليه من المرتدين.

ردة بني طيئ:

ويبدو أن الردة في بني طيئ لم تكن بالشدة والعنف التي كانت في سائر القبائل، فقد أقسم أبو بكر ليقتلن في كل قبيلة بمن قتل من المسلمين، ولم نجد في المرويات أن قتل أحد من طيئ. يفيدنا هذًا أن ردة طيئ لم تصل في عنفها إلى قتل الثابتين بها على إسلامهم، ولعلها لم تتجاوز الرغبة في الوقوف إلى جوار بني أسد وغطفان عملاً بالحلف الجاهلي الذي كان بينهم. ومع رجوع أبي بكر إلى المدينة من قتال عبس وذبيان جاءته صدقات من ثبت على إسلامه من القبائل، وأولهم عدي بن حاتم الطائي جاء بزكاة مسلمي طيئ.

جيوش أبي بكر:

وبعث أبو بكر أحد عشر(68) جيشًا إلى أرجاء شبه الجزيرة للقضاء على انتقاضات القبائل، وكان أهم تلك الجيوش جيش خالد بن الوليد وجهه إلى طليحة بن خويلد فيمن اجتمع إليه من مرتدي أسد وطيئ وعبس وذبيان في مياه بزاخة. فإذا فرغ خالد من أمر طليحة كان عليه أن يسير إلى البطاح حيث كان مالك بن نويرة زعيم ردة بني تميم. في حين بعث أبو بكر ﷺ عكرمة بن أبي جهل إلى اليمامة حيث كان مسيلمة الكذاب ثم بعث في أثره وتدعيمًا له شرحبيل بن حسنة في جيش آخر.

خطاب إلى القبائل:

وكتب أبو بكر إلى قبائل العرب كتابًا واحدًا(69) من عدة نسخ جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقلم على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى.

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقر بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده.

([68]) تفاصيل هذه الجيوش في "الطريق إلى المدائن" 159.

([69]) الطبري 3/ س ش س عن عبد الله بن سعيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا بإذنه وسراجا منير لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها. ثم توفى رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: 30]، وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الأنبياء: 34]

، وقال للمؤمنين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران: 144].

فمن كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه يجزيه.

وأني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلي، وكل من لم يعنه مخذول.فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا، قال الله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الكهف: 17] ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل .

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترار بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان.

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾[الكهف: 50]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:6].

وأني أبعث إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان. فإن أذن المسلمون فأذنوا، كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم وحمل على ما ينبغي لهم" .

واجبات الجيوش

وفي أثر تلك الكتب من الخليفة إلى القبائل تحركت الجيوش من المدينة ومعها أوامر وعهود محددة واضحة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام. وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته. وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام.

فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم. فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله. فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به. ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام. فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه. ومن أبى قاتله، فإن أظهر الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران. ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه.

وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيونا(جواسيس) ولئلا يؤتي المسلمون من قبلهم. وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.

عدي زعيم طيئ

اجتمع أول هذه الجيوش في ذي قصة على بريد من المدينة إلى نجد (حوالي 22 كيلو مترا من المدينة) وكانت عدته أربعة آلاف أقلهم من المهاجرين وكان فيهم ما بين أربعمائة إلى خمسمائة من الأنصار وكان أكثرهم من القبائل التي حول المدينة من الأعراب، وكان عدي بن حاتم في هذا الجيش فقد كان مازال بالمدينة منذ جاء بزكاة الثابتين على إسلامهم من طيئ. وعقد أبو بكر لواء هذا الجيش وعرضه على زيد بن الخطاب فاعتذر عن قبوله بأنه ينشد الشهادة وأنه لا ينبغي لقائد الجيش أن يباشر القتال بنفسه، فعرضه على أبي حذيفة بن عتبة ثم على سالم مولى أبي حذيفة وكلهم يعتذر عن قبوله، فأمر أبو بكر على الجيش خالد بن الوليد.

حينذاك كان طليحة بن خويلد يجمع جموعه وينسق قواته في بزاخة وهي مياه كانت مشتركة بين بني أسد وبني طيئ.

انضمت إليه فلول عبس وذبيان الذين هزمهم أبو بكر، وأرسل طليحة إلى بني جديلة وإلى بني الغوث جناحي طيئ، فبادر أقوام منهم إليه وقد أوصوا من وراءهم باللحاق بهم. كانت هذه الأنباء تصل إلى جيش خالد الزاحف من ذي قصة إلى نجد. وطلب عدي بن حاتم من خالد بن الوليد أن يمهله أياما حتى يثني طيئاً عن ردتهم. وفي ذلك قال عدي "يا خالد أمسك عني ثلاثا يجتمع لك خمسمائة مقاتل لتضرب بهم عدوك

وذلك خير لك من أن تعجلهم إلى النار وتشاغل بهم" وافقه خالد فأسرع عدي يسبق الجيش إلى منازل طيئ. وفي رواية أن أبا بكر هو الذي وجه عديا إلى طيئ قبل خروج خالد من ذي القصة وقال له: "أدركهم حتى لا يؤكلوا" فخرج إليهم وتتبعهم في كل مكان، وخرج خالد بجيشه في أثره وقد وجهه أبو بكر أن يبدأ بطيئ على الأكناف وهي جوانب جبل سلمى تجاه فيد وكانت من منازل الغوث من طيئ، على أن يتجه بعد ذلك إلى بني أسد في بزاخة ثم تكون وجهته الثالثة بني تميم بالبطاح. وأظهر أبو بكر أنه خارج بنفسه على جيش آخر إلى خيبر ليتجه بعدها إلى الأكناف حتى يلتقي بخالد. كل ذلك كان خطوات حرب نفسيه تهدف إلى تحطيم حلف أسد وطيئ وصرف طيئ عن الانضمام إلى طليحة. وقدم عدي على بني الغوث في أكناف جبل سلمى فدعاهم إلى الثبات على الإسلام.

قالوا فيما قالوا: "لا نبايع أبا الفصيل أبدا".

لقد آتاكم قوم ليبيحن حريمكم ولتكننه بالفحل الأكبر فشأنكم به.

قالوا: إذا فاستقبل الجيش فنهنهه عنا حتى نستخرج من لحق بالبزاخة منا، فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم وارتهنهم(70).

هذا الحوار يكشف لنا عن مدى إيمان بني طيئ واقتناعهم بردتهم، أنه واضح الدلالة على أنها كانت ردة عن غير اقتناع،

---

(70) الصديق أبو بكر 124.

لقد كانوا أعراباً بدوا عسيرا عليهم أن يقبلوا أن يظلوا تحته سلطان قبائل أخرى في المدينة يؤدون إليها الزكاة، أما أنهم كانوا مؤمنين لطليحة بن خويلد نبياً فهذا ما لم يكن، وإلا لما انفضوا عنه بهذه السهولة. لقد تابعوه تحت عاملين، الأول أنه كان عونا لهم على الانشقاق عن سلطان المدينة، والثاني أنهم أرادوا إعمال الحلف الذي كان بينهم قبل الإسلام. نعم لقد كان لتحرك طيئ معنى آخر في الاتجاه المضاد هو دلالة ما فعلوه على ضعف إيمانهم، وهذا صحيح حتى ذلك الوقت، ولكن لا نستطيع أن نسحب هذا الاعتبار على طيئ كلها فقد كان منهم من ثبت على إسلامه من أول الأمر، أولئك الذين جبى عدي زكاتهم وقدمها إلى أبي بكر في المدينة. ولقد كانت الردة العابرة التي اجتازت بعض بني طيئ حدثا هاما لتعميق إيمانهم بالله ورسوله وبإدراكهم لحقيقة هذا الدين ولزوم جماعة المسلمين. وفي حوار عدي لقومه أيضاً ما يدلنا على سؤدده بينهم ومكانته فيهم، وأنه كان بشخصه وبقوة إقناعه أكبر عندهم من طليحة بن خويلد.

لم يغب عدي كثيرا في مهمته تلك، فقد عاد إلى خالد بأنه أفلح فيما ذهب إليه وبأن بني طيئ قد أرسلوا في استرجاع من سبق منهم إلى بزاخة فرجع إليهم خمسمائة فارس من قومه الغوث. وكان هناك فرسان آخرون من جديلة.

فقال خالد لعدي: يا أبا طريف ألا نسير إلى جديلة؟

قال عدي: يا أبا سليمان لا تفعل، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟

قال: بل بيدين.

قال: إن طيئا كالطائر وإن جديلة أحد جناحي طيئ، فأجّلني أياما لعل الله أن ينتقذ جديلة كما انتقذ الغوث، فإن جديلة إحدى يدي.

ولو أن جديلة لم تكن من قوم عدي بل لقد كان بينهم في الجاهلية ما رأينا مشهدا منه يوم اليحاميم، إلا أنا نحس تأثير الإسلام على نفس عدي، لم ينتهزها فرصة للتنكيل بها والانسياق وراء النزعات الجاهلية، بل كان جميلا منه وكريما تلك المشاعر النبيلة. "فإن جديلة إحدى يدي!" لقد استنقذ عدي قومه" الغوث" من التردي في مهاوي الردة وأن يكونوا في حربها في صفوف المرتدين من قتل منهم فإلى النار. فلماذا لا يستنقذ أبناء عمومته من جديلة؟

وكف خالد عن جديلة حتى آتاهم عدي في ديارهم بالأنسر فدعاهم إلى الرجوع إلى الإسلام فرجعوا كما رجعت الغوث، فحمد الله وسار بهم من فوره إلى خالد وكانوا في عدة الحرب ولباسها، فلما رآهم خالد وهم في أهبتهم وكان في أرض حرب ظن أنهم جاءوا لحربه فنادى في جيشه، فلما قيل له "إنما هي جديلة أتت تقاتل معك" فرح بهم، وجاءت جديلة فقالوا له: "نحن لك حيث أحببت" وضمهم خالد إلى جيشه وعقد لواء طيئ غوثها وجديلتها لعدي بن حاتم فكانوا ألف فارس، وكان عدي خير مولود في أرض طيئ وأعظمهم عليهم بركة!!. وفي ذلك قال أحد المسلمين(71):

([71]) معجم البلدان- مادة غمر.

جزى الله عنا طيئا في بلادهم ومعترك الأبطال خير الجزاء

هم أهل رايات السماحة والندى إذا ما الصبا ألوت بكل خباء

هم ضربوا بعثا على الدين بعدما أجابوا منادي فتنة وعماء

لعل الروايات بهذه الصورة توحي أن بني طيئ الذين قادهم عدي في حروب الردة تحت لواء خالد بن الوليد إنما كانوا من المرتدين الذين استطاع عدي أن يقنعهم بالرجوع إلى الإسلام، ولكننا نذهب إلى أن كثيرين منهم لابد كانوا من الثابتين على إسلامهم من بادئ الأمر، فلقد جاء عدي إلى المدينة بزكاة من لم يرتد من بني طيئ، كما كتب مهلهل بن زيد الخيل الطائي إلى ضرار بن الأزور الأسدي وكان في جيش خالد يقول له: "في حال محاربة طليحة، إن دهمكم طليحة فأعلمني فإن معي حد العرب (قوتهم) ونحن بالإكثار(مكان) بحيال فيد. فلا يعقل أن يكون فرسان عدي كانوا من المرتدين العائدين إلى الإسلام فقط وقد كان في بني طيئ من لم يخالط إيمانه شك".

في قتال بني أسد

هكذا أحبط عدي بن حاتم محاولة طليحة أن يستغل أحلاف الجاهلية لتجنيد بني طيئ معه لنصرة ردته. وسار خالد بجيشه حتى اقترب الجندان جند خالد وجند طليحة، فلما رأى المسلمون عدوهم قال عدي لخالد:

يا أبا سليمان أجعل قومي مقدمة أصحابك.

فقال له خالد: يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب، وأنا أخاف أن أقدم قومك فإذا لحمهم القتال انكشفوا فانكشفت من معنا، ولكن دعني أقدم قوما صبرا لهم سوابق وهم من قومك (يقصد المهاجرين والأنصار).

فقال عدي: الرأي ما رأيت.

كان عدي ذا ثقة في قومه مطمئنا إلى دخولهم في الإسلام ولعله كان في اعتباره أيضًا أن المعركة تدور على أرض طيئ وأسد فأراد أن يجعل من طيئ مقدمة، ولكن خالدًا كان أحوط، وقد اقتنع عدي بوجهة نظره.

لقد انحاز إلى طليحة مرتدون من قيس عيلان، فسأل الطائيون خالدًا أن يكفوه قيسًا فإن بني أسد حلفاؤهم. وهذا يدعم ما ذهب إليه خالد من رفضه وضعهم في المقدمة. وأجابهم خالد:

والله ما قيس بأوهن الشوكتين. أصمدوا إلى أي القبيلتين أحببتم.

فقال عدي: لو ترك هذا الدين أسرتي الأدنى من قومي لجاهدتهم عليه، أفأنا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم!؟ لا لعمر الله لا أفعل.

قال خالد: إن جهاد الفريقين جميعًا جهاد، لا تخالف رأي أصحابك. امض إلى أحد الفريقين وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط.

فقاتلت طيئ قيسًا وقاتل سائر المسلمين بني أسد(72).

والتحم الفريقان. كان جند طليحة يزيدون عن جند خالد بألف مقاتل أو يزيد. وهزم المسلمون المرتدين، وفر طليحة بامرأته إلى النقع من منازل كلب على تخوم الشام سالكًا طريق الحوشية، نفس الطريق الذي سلكه عدي بن حاتم من قبل(73) حين فر من سرية علي بن أبي طالب عام 9هـ. اندحر جيش طليحة وانفض جمعه فمنهم من قتل ومنهم من هرب ومنهم من أقر بالإسلام. وأمر أبو بكر خالدًا أن يقتص ممن قتل من المسلمين في تلك الردة فلا يظفر بأحد قتل المسلمين إلا قتله.

([72]) الصديق أبو بكر 127.

([73]) الحوشية هو الطريق الذي يمر بالحوشي إلى الشام. ولم نجد معلومات كثيرة أو وافية عن هذا الطريق، سوى ما ذكرة ابن خرداذبة في معرض ذكر الطريق من الكوفة إلى دمشق، قال: من الحيزة إلى القطقطانة ثم إلى البقعة ثم إلى الأبيض ثم إلى الحوشي ثم إلى الجمع ثم إلى الخطي ثم إلى الجبهة (بالسماوة) ثم إلى القلوني ثم إلى الرواري ثم إلى الساعدة ثم إلى البقيعة ثم إلى الاعناك ثم إلى اذرعات ثم إلى منزل ثم إلى دمشق (المسالك والممالك 99).

وقد ذكرها ابن هاشم الجوسية، وهي جبل الضباب قرب ضرية من أرض نجد (السيرة النبوية 79/2). وفي مزيد من البحث عن ما ينير لنا الطريق يذكر ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر ضرية في الطريق من البصرة إلى مكة، قالا من البصرة (إلى المنجشانية ثم) إلى الحضير (ثم إلى الرحيل ثم إلى الشجي ثم إلى الخرجاء إلى الحفر) إلى ماوية إلى ذات العشر إلى الينسوعة إلى السمينة إلى النباج إلى العوسجة لي القريتين إلى رامة إلى أمرة (إلى طخفة) إلى شربة إلى جديلة إلى فلجة إلى الدفينة إلى قبا إلى مران إلى وجرة إلى أوطاس إلى ذات عرق إلى بستان بني عامر إلى مكة (ما بين قوسين لم يذكره قدامة) المسالك والممالك 146 – الخراج وصنعة الكتابة 190).

ومن حيث لم يرد في طريق الحوشية ذكر دومة الجندل وتبوك فإن ذلك يعني أن الطريق كان يسلك صحراء السماوة شمالي هاتين القريتين. ويدلنا سلوك طليحة ذات الطريق إلى أن معركة بزاخة دارت قريبًا من موطن عدي بن حاتم.

وأقام خالد بجيشه في بزاخة شهراً، ينطلق منها في آثار الفارين ويعود إليها فنكل بمن مثل بالمسلمين. ورأى مرتدو بني عامر وسليم وهوازن ما حل بمرتدي بني أسد ومن انضم إليهم فعادوا إلى الإسلام.

انطفاء ردة تميم:

انتهت ردة بني أسد فتطلع خالد إلى القضاء على ردة بني تميم التي كان يتزعمها مالك بن نويرة، فزحف إليهم بجيشه حتى إذا بلغ البطاح حيث كان جمعهم وجدهم قد تفرقوا في مياههم وقد أمرهم مالك أن يعودوا إلى الإسلام فلم تكن معركة.

ومسيلمة الكذاب

حينذاك كان عكرمة بن أبي جهل قد اشتبك بمسيلمة الكذاب فهزمه مسيلمة، ثم تقدم شرحبيل بن حسنة إلى مسيلمة فهزمه أيضا كما هزم عكرمة من قبل، فأمر أبو بكر خالدا أن يتولى أمر مسيلمة؟، فسار إليه خالد من بطاح بني تميم. وكانت معركة عنيفة في عقرباء تأرجحت بين الطرفين فترة واستشهد فيها كثير من المهاجرين والأنصار وقراء القرآن، كما قتل من جند مسليمة نحو من عشرين ألفا هم نصف جنده وقتل مسليمة وانتهت الردة في تلك البقاع.

قال رافع بن(74) بن خديج: خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف وأصحابنا من الأنصار ما بين خمسمائة إلى أربعمائة، وعلى الأنصار ثابت بن قيس ويحمل رأيتنا أبو لبابة، فانتهينا إلى اليمامة فننتهي إلى قوم هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ﴾[الفتح: 16] فلما صففنا صفوفنا ووضعنا الرايات موضعها لم يلبثوا أن حملوا علينا فهزمونا مراراً، فنعود إلى مصافنا وفيها خلل، وذلك أن صفوفنا كانت مختلطة فيها حشو كثير من الأعراب في خلال صفوفنا فينهزم أولئك بالناس، فيستخفون أهل البصائر والنيات حتى كثر ذلك منهم، ثم أن الله تعالى بمنه وكرمه وفضله رزقنا عليهم الظفر، وذلك أن ثابت بن قيس نادي خالد بن الوليد: أخلصنا. فقال خالد: ذلك إليك فناد في أصحابك. فأخذ ثابت الراية ونادى ياللأنصار. فتسللت إليه رجلا رجلا. فنادى خالد: يا للمهاجرين فأحدقوا به. ونادى عدى بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل بطيئ فثابت إليهما طيئ وكانوا أهل بلاء حسن وعزلت الأعراب ناحية فقاموا من ورائنا غلوة أو أكثر (الغلوة= 185 مترا) وإنما كنا نؤتي من الأعراب.

(74) خالد بن الوليد- عرجون 161.

وأجهض أهل السوابق والبصائر العدو فهم في نحورهم ما يجد أحد منهم مدخلاً إلا أن يقتل رجلاً منهم أو يخرج فيقع خلف مقامه آخر حتى أوجعنا فيهم، وبان خلل صفوفهم وضجرًا من السيف. ثم اقتحمنا الحديقة فضاربوا فيها وغلقنا الحديقة وأقمنا على بابها رجالاً لئلا يهرب منهم أحد، فلما رأوا ذلك عرفوا أنه الموت فجدوا في القتال ودكت السيوف بيننا وبينهم، ما فيها رمي بسهم ولا حجر ولا طعن برمح حتى قتلنا عدو الله مسيلمة. اهـ

موقف نبيل مشرف يذكره التاريخ الإسلامي لعدي بن حاتم الطائي ذلك سجله بالمبادرة بشد أزر المسلمين بالمدينة حين قدم إليها بزكاة الثابتين على إسلامهم حين تفشت الردة. ثم في ثنى سائر طيئ عن ردتها. وفي تحويلها إلى محاربة المرتدين من بني أسد حلفاء الجاهلية، فكانت قوة فعالة ذات أثر بلغت ألف فارس عددا.

لقد اشتهرت نجد بأجود الخيول العربية الأصيلة وعلى وجه الخصوص جبل أجأ، وفي ذلك قال عبد الله بن رواحة في غزوة(75) مؤتة مفتخرًا بخيله.

جلبنا الخيل من أجأ فزعٍ نغر من الحشيش لها العكوم

(75) ابن هشام 375.

ولقد اختلف الرواة في رماة الحدق فذكر بعضهم أنهم من طيئ وقال آخرون هم من النوبة، وهم يرمون بالنبل عن فسي عربية فالعرب تسميهم(76) رماة الحدق. وسواء كانوا من النوبة أو من طيئ فإن الذي يعنينا هنا أن بني طيئ قد اشتهروا بالرمي.

فإذا ما أضاف عدي ألف فارس إلى قوة المسلمين فإنه أضاف شيئًا مذكورًا من أفضل عدة الحرب في عصره. ولعلنا لاحظنا تقدير خالد لعدي في اعتماده عليه وفي حواره معه فلم يكن يخاطبه إلا بـ "يا أبا طريف"، ثم في مصارحته له حين طلب عدي أن يجعل قومه من بني طيئ مقدمته في قتال بني أسد فأجابه خالد بأنه يخشى انكشافهم. هذه الصراحة تنطوي على كل تقدير عند خالد لشخص عدي.

([76]) المعارف 615.

في الفتوح

خطة الفتح

مع انتهاء حروب الردة بدأت حركة أخرى أكبر حجما وأبعد أثراً في تاريخ كوكبنا ونعنى بها حركة الفتوح الإسلامية. تلك الحركة سارت في شعبتين أحداهما اتخذت وجهة الشرق(77) إلى العراق والجزيرة ثم فارس ومن وراء فارس ما كان يقع إلى شرقها وشماليها. خراسان وكرمان ومكران وجرجان وتركستان وأرمينيا وأذربيجان، في حين اتخذت الشعبة الثانية اتجاه الشمال إلى(78) الشام ثم غربا إلى مصر والشمال الإفريقي.

ولقد كان عدي بن حاتم مع الجيوش الإسلامية التي اختصت بالاتجاه الأول. إلى العراق.

ولقد كلف أبو بكر ﷺ اثنين من قواده(79) بغزو العراق:

1- خالد بن الوليد ليبدأ من أسفل العراق من جهة الأبلة على شط العرب ثم يزحف شمالاً مسايراً الفرات إلى الحيرة.

---

(77) تناولنا هذه الحركة تفصيلا من الناحية الحربية في كتبنا "الطريق إلى المدائن" و " القادسية" و " سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية".

(78) انظر كتابنا " الطريق إلى دمشق".

(79) الطريق إلى المدائن 168، طبعة القاهرة .

2- عياض بن غنم ليبدأ بدومة الجندل ثم يساير الصحراء إلى المصيخ بأعلى العراق ليهبط منه جنوبا مسايراً الفرات إلى الحيرة.

فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه. ثم يعبر أحدهما الفرات إلى دجلة والمدائن عاصمة ملك بني ساسان (جنوبي موقع بغداد بحوالي 30-35 كيلوا مترا) بينما يبقى الثاني بالحيرة مؤخرة واحتياطا لصاحبه. وأذن أبو بكر لمن شاء ممن مع القائدين من الذين خاضوا حروب الردة أن يرجع، فإن حرب فارس كان أمرا تهابه العرب وترهبه، فلم يشأ أبو بكر أن يكره أحدا على ما يخاف ولا يحب. وبهذا الإذن رجع أهل المدينة ومن حولها ونقصت قوة خالد إلى ألفين، ألف منها فرسان طيئ يقودهم عدي بن حاتم ﷺ فأمد أبو بكر خالدا بالقعقاع بن عمرو وأمره أن يستنفر من ثبت على إسلامه وألا يسمح لمن سبقت له ردة بالخروج في الفتوح. وكتب أبو بكر أيضا إلى المثنى بن حارثة الشيباني ومذعور بن عدي العجلي أن ينضما بمن معهما إلى خالد بن الوليد ليكونوا تحت إمرته.

معركة(80) ذات السلاسل:

ونزل خالد بن الوليد النباج، وهو ماء لبكر بن وائل على مسافة 300 كيلو مترا من مكان البصرة وبينه وبين اليمامة (حيث كان مسيلمة الكذاب) حوالي 180 كيلو متر، واستطاع خالد أن يصل بجيشه إلى ثمانية عشر ألفا.

ودرس خالد ما هو مقدم عليه، فعرف أن على الأيلة أميراً فارسيا يدعى هرمز كان من أسوأ الفرس على العرب حتى ضربوه مثلا في الخبث والكفر فكانوا يقولون أخبث من هرمز وأكفر من هرمز. كتب خالد قبل أن يبرح النباج إلى هرمز يقول:

"أما بعد فأسلم تسلم واعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة".

وجعل خالد جيشه ثلاثة أقسام وبعث كل قسم على طريق، فخرج المثنى بن حارثة الشيباني قبله بيومين على المقدمة، ثم بعث عاصم بن عمرو التميمي على الميمنة، ثم خرج عدي بن حاتم الطائي على الميسرة وكان دليله مالك بن عباد. ثم خرج خالد بن الوليد ودليله صحابي من طيئ هو رافع بن عميرة الطائي. وكان موعدهم جميعا الحفير على سبعة كيلو مترات من مكان البصرة (ولم تكن البصرة قد أقيمت)

---

(80) الطريق إلى المدائن 179.

. وانتظر هرمز خالدا في الحفير وعلم خالد بذلك وهو على الطريق فحول اتجاه فيالقه إلى كاظمة، وعلم هرمز بذلك فتحول عن الحفير إلى كاظمة وصف صفوفه بها، فجعل على ميمنته قباذ وعلى ميسرته أنوشجان وهما أخوان ينتسبان إلى بني ساسان الأسرة المالكة في فارس.

قباذ إذا هو الذي سيواجه عدي بن حاتم فهذا على ميمنة الفرس وهذا على ميسرة المسلمين وحاز الفرس الماء، وجاء المسلمون إلى كاظمة فخاطبوا خالدا في ذلك، فأمر مناديه فقال ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين".

حط المسلمون أثقالهم من على ظهور الإبل وصف خالد قواته فخرج إليه هرمز ووقف بين الصفين ونادى- رجل ورجل. أين خالد؟

فخرج إليه خالد للمبارزة. كان هرمز قد عزم على الغدر بخالد وأعد لذلك عدة عدته، لم تكن له في نفسه ثقة في المبارزة التي دعى إليها فعهد إلى فرسانه بالهجوم على خالد حين تدور المبارزة. وسار خالد إلى هرمز فضربه ضربة تلقاها هرمز بدرقته، ثم ضرب هرمز خالدا إلى هرمز فضربه ضربة تلقاها خالد بدرقته أيضا، ولم يمهل خالد هرمزا بعد ذلك إذ هاجمه واحتضنه فهجمت حامية هرمز وأحاطوا بخالد وقد أخذ هرمزا أخذاً فقتله، وغاب خالد عن أنظار المسلمين بين فرسان الفرس المجوس.

وبادر القعقاع بن عمرو التميمي فقاد المسلمين وشن هجوما على الفرس فأزاحهم عن خالد فوجده المسلمون يبارزهم وحده لا يقدرون عليه! والتحم الفريقان وقد قتل هرمز قبل أن تبدأ المعركة فما لبث المجوس أن انهزموا وتراجعوا فارين بغير نظام والمسلمون يتبعونهم في مطاردة حتى الليل. واستطاع قباذ قائد ميمنة الفرس أن يفر من أمام عدي بن حاتم كما هرب أنوشجان قائد ميسرتهم من أمام عاصم بن عمرو التميمي. هذه المعركة الأولى في غزو العراق عرفت بذات السلاسل نسبة إلى السلاسل التي ربط الفرس بها أنفسهم حتى لا يفروا،وقد وقعت هذه المعركة في محرم 12هـ مارس/ أبريل 633.

معركة المذار(81)

ما أن رجعت قوات المطاردة حتى ارتحل خالد في جيشه حتى نزل موضع البصرة، وبعث المثنى بن حارثة قائد المقدمة في مطاردة أكثر عمقا فأوغل على ضفاف دجلة، وعلم في تقدمه ذلك بأخبار جيش فارسي بعثت به المدائن ممدا لهرمز غير أن معركة ذات السلاسل بكاظمة كانت أسرع من وصول المدد إليه. وانحازت فلول ذات السلاسل إلى هذا الجيش القادم وتعاهدوا جميعًا على الثبات في وجه زحف المسلمين. هذا الجيش الفارسي كان يقوده قائد يدعى قارن بن قريانس.

([81]) الطريق إلى المدائن 227/222.

بعث المثنى بمعلوماته عن هذه القوات إلى خالد بن الوليد، فتحرك بجيشه إلى المذار حيث أقام قارن. كانت المذار على الشاطئ الشرقي لدجلة عند التقاء بعض روافده به، وجعل قارن دجلة عن يمينه والرافد الذي يمده وراء ظهره وقد حشد فيه سفنه لتصله بقاعدته في المدائن. وخرج قارن يدعو إلى المبارزة فخرج إليه خالد بن الوليد، ولكن معقل بن الأعشى سبق خالدًا إليه فبارزه وقتله. وتزاحفت الصفوف وتصافحت السيوف في قتال أشد مما كان في ذات السلاسل. هذه المعركة كانت على نفس التعبئة السابقة، فكان عاصم بن عمرو التميمي على ميمنة المسلمين وكان عدي بن حاتم يقود ميسرتهم، في حين كان قباذ على ميمنة المجوس وأنوشجان على ميسرتهم. قباذ وأنوشجان هما اللذان استطاعا الفرار يوم كاظمة، ولكنهما هنا في معركة المذار لم يستطيعا، فإن النهر كان من ورائهم، فقتل عاصم أنوشجان كما قتل عدي بن حاتم الطائي قباذ، وقتل من المجوس العجم ثلاثون ألفًا وحاول الباقون الانسحاب إلى الشاطئ الآخر فلجأوا إلى السفن وغرق منهم من غرق في تلك المحاولة وأفلت من أفلت عراة أو أشباه عراة.

معركة الولجة(82):

وفي المدائن بلغتهم تلك الأخبار السيئة عن معركة كاظمه وعن معركة المذار، فأرسل اردشير -ملك فارس- أندرزغر قائدًا على جيش جديد للتصدي لهذا الغزو، وبعث في أثره جيشًا آخر يقوده بهمن جاذويه. وكأنما أراد أنذرزغر أن يلتف حول المسلمين فاجتاز العراق وعبر الفرات إلى الصحراء وقد حشد له على عجل مجندون من أهل كسكر (بين دجلة والفرات) ومن أهل الحيرة من نصارى عربها، ولا يغيب عنا أن جانبًا كبيراً من عرب الحيرة كان من قبيلة طيئ ولكن الروايات التي بين أيدينا لا تذكر طيئًا في هذا الحشد الموالي للمجوس وإنما تذكر قبائل بكر بن وائل.

ورأى خالد أن يعود من موقعه بالمذار الذي كان إلى الشرق من دجلة، فاتجه إلى الولجة بالصحراء جنوبي الفرات حيث كان أندرزغر، ذلك أن جيش بهمن جاذويه كان في طريقه إليه من وسط السواد، فأراد خالد ألا يحصر بين الجيشين وأن يخوض معهما معركة أثر معركة بدلاً من انتظارهما معًا فيحصرانه أحدهما من أمامه والثاني من خلفه.

---

(82) الطريق إلى المدائن 231/228.

ووقف خالد بجيشه في الولجة وجهًا لوجه أمام أندرزغر. كان الميدان صحراويًا والأرض منبسطة وجيشه على نفس تعبئته السابقة، عاصم على الميمنة وفيها بنو تميم، والمثنى بن حارثة الشيباني على المقدمة وفيها قبائل ربيعة وكانت المقدمة تتخذ مكانها في القلب إذا اصطفت الصفوف، وعدي بن حاتم على الميسرة وفيها بنو طيئ، وأضاف خالد إلى ذلك تشكيلين جديدين لهذه المعركة قصد أن يجعلهما كمينا بقيادة بسر بن أبي رهم الجهني وسعيد بن مرة العجلي، أحدهما خلف الميمنة والثاني خلف الميسرة. وكان العدو عبارة عن جيش فارس ومن انضم إليه من نصارى عرب الحيرة.

واصطدم الجيشان في قتال شديد يفوق ما كان في المعركتين السابقتين، وكل فريق صابر أمام عدوه، وأخيراً أطلق خالد الكمينين فخرجت الفرقتان من خلف ميمنته ومن خلف ميسرته لتلتفت حول جناحي الفرس فطلعوا عليهم من خلفهم وبدأت عند ذلك هزيمة المجوس، وفر أندرزغر من الميدان وانطلق إلى الصحراء يهيم على وجهه حتى مات عطشا. معركة الولجة هذه كانت في 22 صفر 12 هـ 3 مايو(آيار) 633 م.

نهر الدم(83):

المعركة التالية كانت معركة نهر الدم في مكان اسمه أُلَّيس على نهر الفرات في 25 صفر 12 هـ 6 مايو (آيار) 633م. ذلك أن نصارى بكر بن وائل غضبوا لقتلاهم في الولجة وكان بين القتلى اثنان من أبناء زعمائهم فاحتشد جمع من هؤلاء العرب في أليس يقودهم عبد الأسود العجلي وكان معهم بعض العجم. كذلك وجه بهمن جاذويه مقدمة جيشه إلى أليس يقودها قائد فارسي يدعي جابان في حين عاد هو إلى المدائن للمشاركة في بعض الأمور السياسية هناك.

سار خالد إلى تلك الجموع وهو على تعبئته السابقة، وما زال صاحبنا عدي بن حاتم يقود الميسرة. وطلع المسلمون على معسكر الفرس والعرب الموالين لهم وقد بسطوا بسطهم ووضعوا طعامهم وجلسوا لتناول غدائهم. وتقدم خالد يطلب زعماء العرب العملاء يناديهم بأسمائهم ليبارزوهم فخرج إليه أحدهم فتقدم إليه خالد وضربه ضربة واحدة كانت القاتلة! ثم زحف بصفوفه عليهم فأقامهم عن طعامهم بغير نظام. كان المجوس في قلب الجيش وقد جعلوا على ميسرتهم أبجر بن بجير على نصارى من عرب بكر بن وائل وعلى ميمنتهم عبد الأسود العجلي على نصارى عجل من بكر بن وائل أيضاً، هؤلاء الأخيرون هم الذين كانوا يواجهون عدي بن حاتم. وكان القتال أشد من أي قتال سبق وصمد الفرس ومن مالأهم من العرب للمسلمين على أمل أن يصل إليهم بهمن جاذويه،

(83) الطريق إلى المدائن 198.

واشتد الأمر على المسلمين حتى نذر خالد نذرا "اللهم أن لك على أن منحتنا أكتافهم ألا استبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم"!.

وبدأ الخور في صفوف المجوس فأمر خالد بأسرهم بدلا من قتلهم، فجاء المسلمون بهم يسقونهم برماحهم أفواجا من الأسرى. وظلت عمليات المطاردة والأسر يومين بعدها حتى جمع خالد منهم عددا كبيرا فساقهم إلى النهر وقد حبس الماء.

ثم راح يضرب أعناقهم حتى يجري النهر بدمائهم ولكن الدماء لا تجرى كما يجري الماء، وأشار بعض المسلمين بإرسال الماء على الدم حتى تبر يمين خالد ففعل وجرى الماء أحمر ثلاثة أيام، وبذلك عرف بنهر الدم.

وقعد المسلمون على الطعام الذي أعده الفرس وحلفاؤهم من العرب فأكلوه في احتفال كبير غلب عليه مرح الانتصار. ويقدر الرواة قتلى الفرس وحلفائهم في أليس بسبعين ألفا.

أمغيشيا(84) والمقر:

هؤلاء القتلى كان أكثرهم من أمغيشيا وهي بلدة كانت قريبة من أليس على نحو أربعين كيلو مترا منها. فأراد خالد أن يؤدب تلك البلدة على ما قدمت من عون للمجوس في معركة أليس، فسار إليها. وما سمع أهلها بذلك حتى هجروها وجلوا عنها وقد تركوا متاعهم ومساكنهم. ووجد خالد أمغشيا خالية فأمر بهدمها وإزالتها، وغنم المسلمون منها أكثر من غنيمتهم في أي معركة سابقة وبلغ نصيب الفارس من غنائمها 1500(85) درهما. وكان ذلك في 28 صفر 12 هـ 14 مايو/آيار 633م.

ورأي خالد أن الطريق أمامه إلى الحيرة ملئ بالمستنقعات والأراضي الغارقة بمياه الفيضان والمسالك المائية، فآثر أن يقطع المسافة الباقية عن طريق النقل النهري فجمع السفن ليحمل عليها الجيش في نهر الفرات. وعلم مرزبان الحيرة (حاكمها الفارسي) وكان يدعي آزاذبه بما يفعل المسلمون، فقام بسد الفرات بالتراب والبوص والأعشاب وفتح مسالك أخرى للماء يسلكها ووضع حامية من خيله يقودها ابنه لتحمي ما فعل، كان ذلك بمكان يعرف بالمقر. وما كادت السفن تبحر بالمسلمين حتى جنحت. فانطلق خالد في تجريدة من خيله يساير الفرات حتى فاجأ خيل آزاذبه وقضى عليها ثم أزال السد وأعاد الماء إلى جريانه فسارت السفن بما حملت ونزلت الحملة أرض الحيرة فانسحب آزاذبه بغير قتال إلى ما وراء الفرات تاركا عرب الحيرة الموالين لفارس يواجهون الغزو وحدهم.

---

(84) الطريق إلى المدائن 192 – 196.

(85) كان الدرهم يزن 2,975 جراما. وإذا اردنا تحديد قيمته في أي وقت فما علينا إلا أن نعرف قيمة جرام الفضة. يرجع إلى الطريق إلى المدائن 115 في شأن تحديد المقاييس والعملات والتواريخ.

فتح الحيرة(86)

كانت الحيرة هي الهدف الأساسي الأول الذي حدده أبو بكر لخالد ولعياض بن غنم قبل المدائن.. وهاهم المسلمون يصلون إليها ويدقون أبوابها لنفتح لهم. كان بالحيرة أربعة حصون اعتصم بها النصارى العرب، فقسم خالد قواته لحصارها وقتال حماتها. تلك الحصون من تتبعنا لما جاء عن أصحابها وعن أنسابهم ومقارنته ببعضه نتصور أنها كانت كالشكل الذي وضعناه لها.

فحاصر المثنى بن حارثة الشيباني حصن ابن بقيلة، وكان فيه عمرو بن عبد المسيح (قال ابن حزم عبد المسيح بن عمرو) وكان من بني مازن بن الأزد.

وحاصر ضرار بن مقرن المزني حصن بني مازن (وهو خلاف الحصن السابق لبني مازن أيضاً) وكان فيه حيرى بن أكال.

وحاصر ضرار بن الخطاب الفهري حصن العدسيين وكان به عدي بن عدي بن المقتول.

---

(86) الطريق إلى المدائن 250 – 262 .

وحاصر ضرار بن الأوزر الأسدي الحصن الأبيض وكان فيه إياس بن قبيصه الطائى.

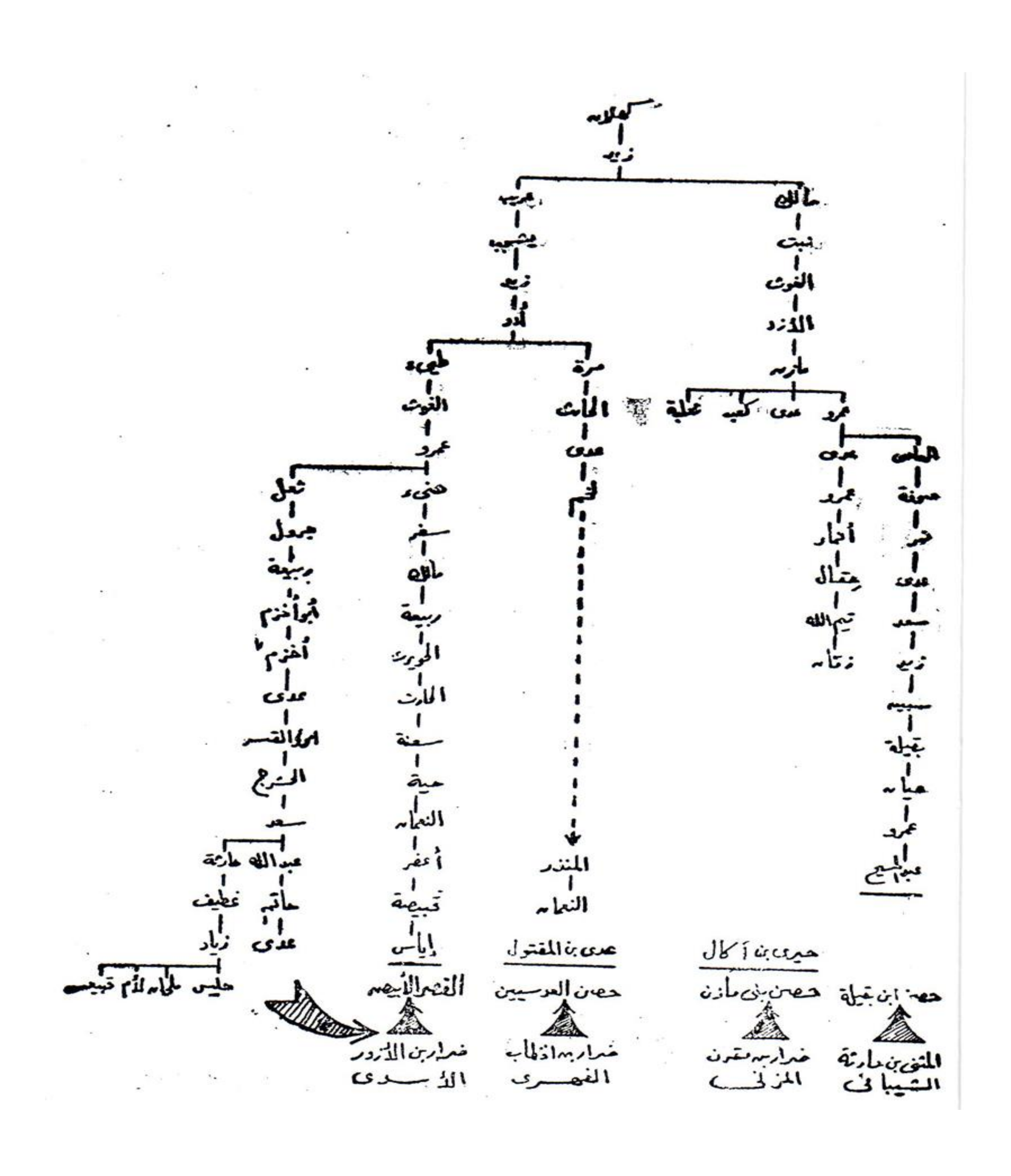
هؤلاء القادة الأربعة فيما عدا المثنى بن حارثة لم يكونوا من قادة الأقسام الكبيرة للجيس، فليس فيهم عاصم بن عمرو التميمي قائد الميمنة وليس فيهم عدي بن حاتم الطائي قائد الميسرة، ونذهب إلى أن قوات الحصار هذه كانت قطعات من تلك، وهناك من الشواهد(87) ما يجعلنا نرجح أن ضرار بن الأزور الأسدي كان من قوات عدي بن حاتم، فلعله كان يحاصر حصن بني طيئ الموالين للمجوس بفرسان من مسلمي طيئ .

وأمهل المسلمون أهل الحصون ثلاثة أيام عليهم أن يقبلوا بعدها الإسلام أو الجزية أو القتال. واختار عرب الحيرة القتال، فما انتهت المهلة حتى بدأ القتال ضرار بن الأزور ثم تبعه زملاؤه كل يقاتل الحصني الذي يحاصره. ولم يدم القتال طويلا إذا استسلمت الحصون على أداء الجزية فكتب لهم خالد كتاب صلح في شهر ربيع(88) الأول من اثنتي عشرة. وفي فتح الحيرة وقعت قصة الشيماء بنت نفيلة الأزدية، وقد أوردناها بتمامها في كتابنا "محمد ابن مسلمة" من هذه السلسلة بما يغنينا عن إعادة ذكرها هنا.

([87]) من تجاور مساكن طيئ وأسد في نجد وقد كان لذلك اعتباره في تعبئة الجيوش عند المسلمين وقد شرحنا ذلك وأوضحناه في " الطريق إلى المدائن" وأيضاً من حصاره حصن بني طيئ وقد كانوا يفضلون أن يتصدى لكل قبيلة من كان منها.

([88]) الطريق إلى المدائن 204.

وبعد سقوط الحيرة أتى دهاقين الأقاليم المجاورة يصالحون المسلمين على مثل صلح الحيرة، وكلف خالد أمراء جيشه أن يغيروا على ما وراء ذلك حتى بلغت جنوده نهر دجلة.



عبد الله
حارثة
عطيف
حاتم
زياد
عدى
أعفر
قبيصة
إياس
المنذر
النعمان
عدى بن المقتول
القصر الأبيض
حصن العوسيين
حصن بنى مازن
ضرار بن الأزور الأسدى
المثنى بن حارثة الشيبانى

وبعد الحيرة

هذا ما كان من أمر جيش خالد بن الوليد الذي كان صاحبنا عدي قائدا على ميسرته. أما الجيش الآخر الذي قاده عياض بن غنم فلم ينجح حتى هذا الحين في افتتاح دومة الجندل، وقد لقى هذا الجيش على جيش خالد مهمة إنجاز فتح دومة الجندل في جنوب صحراء السماوة، ولكنه وجد أن للفرس ومن مالأهم من العرب مواقعا وحصونا إلى الشمال من الحيرة فعزم على البدء بتصفيتها. وتحرك بجيشه حتى نزل كربلاء حيث توقف بها بعض الوقت يستطلع أخبار عدوه، ثم زحف إلى الأنبار على الشاطئ الشرقي للفرات ففتحها بعد معركة يسيرة، ثم فض حصن عين التمر بصحراء العراق، وبعدها سار إلى دومة الجندل ففتحها الله على يديه، ثم عاد إلى العراق ليخوض معاركه في حصيد وفي الخنافس ثم في المصيخ ثم في الثنى والزميل 8-23 شعبان 12هـ 633/11/2 ثم معركة في الفراض خاضها ضد قوات مشتركة من الفرس والروم ومن والاهم من العرب وقد كانت في 15 ذي القعدة 12هـ 634/11/21 م عاد جيش خالد بعدها إلى الحيرة تلك المعارك التي خاضها خالد كان عدي بن حاتم يقود ميسرته بها.

في فتوح الشام

حينذاك كانت الفتوح في الشام نسير على غير ما يرام، ذلك أن أبا بكر حين بعث خالد بن الوليد إلى العراق بعث خالد بن سعيد إلى الشام، ولكن خالد بن سعيد توغل في الشام بأكثر مما تسمح به إمكانياته وبغير الاستكشاف اللازم والاستخبارات الكافية فقطع الروم عليه خط رجعته وهزموه في معركة وبددوا جيشه. فبعث أبو بكر أربعة فيالق يقودها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجراح، وكان لكل فيلق من تلك الفيالق قيادته المستقلة الأمر الذي مكن الروم من مجابهتها. هذا في حين كان خالد بن الوليد يسير في فتح العراق على ما ذكرنا، فجاء إليه كتاب من أبي بكر يأمره أن يسير بنصف جيشه من العراق إلى الشام وأن يستخلف المثنى بن حارثة على من بقى بالعراق.

وجاء في هذا الكتاب "...ولا تأخذن نجدا إلا خلفت له نجداً، فإذا فتح الله عليكم فارددهم إلى العراق وأنت معهم ثم أنت على عملك".

وأراد خالد أن يستأثر بالأبطال من صحابة رسول الله ﷺ ولكن المثنى أبى إلا أن يحتفظ في جيشه بنصفهم تنفيذا لأمر أبي بكر، فكان(89) عدى بن حاتم الطائي ممن سار مع خالد إلى الشام، كان خروجهم من العراق في شهر صفر 13هـ أبريل (نيسان) 634م. وعبر هذا الفيلق صحراء السماوة عبورا جريئا تعرض فيه لفقدان الماء ولكنه وفق في الوصول(90).

---

(89) سير أعلام النبلاء، وأسد الغابة 3605.

(90) قدمنا تحقيقا وافيا عن طريق عبور السماوة في " الطريق إلى المدائن" 259 – 267.

في تلك الرحلة كان يرشدهم أكثر من دليل أهمهم دليل من طيئ هو رافع بن عميرة الطائي، كما يذكر الرواة أنه كان في هذا التحرك مائة وخمسون من طيئ.

وصل خالد بقواته إلى الشام والتقى بجيوش المسلمين فاستولوا على بصرى، وكان أول ما فعل أن وحد جيوش المسلمين وضمها إلى بعضها ثم خاضوا جميعا معاركهم المتتالية. كان عمرو بن العاص بجنوب فلسطين على وشك أن يخوض معركة ضد الروم، فتحركت إليه سائر جيوش المسلمين وأحرزوا أول انتصار ضخم لهم ضد الروم في 28 جمادى الأولى 13هـ 31 يولية 634م في أجنادين.

وعلى أثر هذه الهزيمة انسحب الروم شمالاً فاستسلمت المدن والقرى التي لم يكن لها حصون تحميها على الجزية.

ثم واجه المسلمون تجمعا روميا ثانيا عند فحل في شرقي الأردن إلى الجنوب قليلا من بحر الجليل في 28 ذي القعدة 13 هـ يناير 635م فكالوا لهم هزيمة ثانية وبذلك انفتح لهم الطريق إلى دمشق، فتحركوا شمالاً حتى إذا كانوا بمرج الصفر أحرزوا نصرا آخر على الروم ثم حاصروا دمشق حتى فتحوها في 15رجب 14هـ 3 سبتمبر635م ، ثم فتحوا حمص بعد الشتاء. حينذاك كان الروم قد أعدوا جيشاً لجابان أرسله هرقل فأخلى المسلمون حمص ودمشق ثم التقوا بهذا الجيش في اليرموك،

فكانت إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ، ومني الروم فيها بأشنع هزيمة في الخامس من رجب 15هـ 12 أغسطس 636. وعلى أثر ذلك عادت دمشق وحمص إلى أيدي المسلمين، وما تم العام السادس عشر من هجرة الرسول ﷺ حتى كانت بلاد الشام قد آلت إلى المسلمين.

عدي في الشام

في تلك المعارك المليئة بالتفاصيل وبذكر الرجال لا نجد خبرا واحدا عن عدي بن حاتم! أين ذكر عدي في فتوح الشام وأين كيانه الكبير ووجوده المشهود الذي عهدناه في حروب الردة وقائدا لمسيرة المسلمين في فتح العراق؟

يكاد الرواة يصمتون. لولا خبرين صغيرين يرويهما(91). ابن الأثير في ترجمته لعدي بن حاتم، يلقي كل منهما بصيصا من الضوء لا يلبث حين نضعه خلف العدسات أن يستحيل إلى شعاع كشاف نسير في ضوئه مع صاحبنا عدي.

الخبر الأول يقول: شهد فتوح العراق ووقعة القادسية ووقعة(92) مهران ويوم الجسر مع أبي عبيد وغير ذلك.

([91]) أسد الغابة 3604.

([92]) وقعة مهران هي موقعة البويب حيث كان مهران يقود الفرس فيها، وبها قتل.

والخبر الثاني يقول: كان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام وشهد معه بعض الفتوح، وأرسل معه خالد بالأخماس(93) إلى أبي بكر الصديق ﷺ .

أي تلك المعارك شهد عدي مع خالد في الشام وأيها لم يشهد؟ لتحقيق ذلك نرتب الأحداث المعاصرة ترتيبا زمنيا حتى يتسنى لنا النظر فيها، فنجدها كانت كالآتي(94):

- 27 جمادى الأولى 13هـ- 30 يولية 634- معركة أجنادين بالشام.

- 21 جمادي الآخر13 هـ - 23 أغسطس 634- وفاة أبي بكر بالمدينة.

- 8 شعبان 13هـ - 7 أكتوبر 634 – معركة النمارق بالعراق.

- 12 شعبان 13 هـ- 11 أكتوبر 634- معركة السقاطية بالعراق.

- 17 شعبان 13 هـ - 16 أكتوبر 634- معركة باقسيائا بالعراق.

- 23 شعبان 13 هـ - 22 أكتوبر 634- معركة الجسر بالعراق.

- رمضان 13 هـ - نوفمبر 634- معركة البويب بالعراق.

- 28 ذي القعدة 13هـ - 23 يناير 635م معركة فحل بالشام.

(93) كذلك روي هذا الخبر الذهبي في سير أعلام النبلاء 109/3.

(94) انظر الطريق إلى المدائن، الطريق إلى دمشق.

ونظرة إلى هذه القائمة تعني الآتي:

1- أن عدي بن حاتم ما دام قد شهد معركة الجسر ومعركة البويب بالعراق بما يعني أنه قد عاد إلى العراق، فإنه بالقطع لم يشهد المعركة التالية لأجنادين في الشام، وهي معركة فحل.

2- بناء على ما تقدم- ومطابقة لأخبار ابن الأثير والذهبي- يكون عدي قد شهد أجنادين بالشام ثم بعثه خالد بأخماس غنائمها إلى أبي بكر. لقد كان عبد الرحمن بن حنبل الجمحي هو البشير بنصر أجنادين، حمل رسالة خالد إلى أبي بكر فأبلغ بها وهو في آخر رمق قبل وفاته، وهذا يعني أن عديا قد بلغ المدينة بالأنفال وقد توفى أبو بكر ﷺ وولى الخلافة عمر. ثم لم يعد عدي إلى الشام وإنما اتجه من المدينة إلى العراق.

فإذا ما فتحنا نافذة التاريخ نطل من خلالها على ما كان(95) يجري في المدينة حينذاك... ماذا نرى؟.

كان المثنى بن حارثة قد أسرع من الحيرة إلى المدينة يطلب من أبي بكر المدد لحرب العراق- بعد رحيل خالد بنصف الجيش- ويقترح عليه السماح لمن حسن إسلامه ممن سبقت له ردة أن يساهم في الفتح (وقد كان محظورا عليهم). وأوصى أبو بكر عمر بن الخطاب بإجابة المثنى إلى طلبه ثم توفى من ليلته. ووسد عمر أبا بكر في قبره إلى جوار رسول الله ﷺ

---

(95) الطريق إلى المدائن 305.

ثم نادى في الناس بالتطوع لحرب العراق فأحجموا أربعة أيام، ثم كان أبو عبيد بن مسعود الثقفي أول من تطوع وتتابع المسلمون من بعده، وقد جعله عمر قائداً لتلك الحملة، وبعث المثنى إلى العراق حتى لا يغيب عن جيشه فبلغ الحيرة في نحو 5رجب 13هـ 4سبتمبر أيلول 634. واستمر عمر يحشد المتطوعين ليبعث بهم مع أبي عبيدة في أثر المثنى وبلغ أبو عبيد الحيرة في حوالي 3 شعبان 13هـ 3 أكتوبر 634م.

ويسوقنا المنطق أن يكون عدي بن حاتم قد عاد إلى العراق مع أبي عبيد بن مسعود، وبذلك يكون قد شهد معه معاركه ولا يكون قد فاته من فتوح العراق سوى معركة بابل التي خاضها منتصرا المثنى بن حارثة في أواخر ربيع الأول 13هـ أواخر مايو(أيار) 634 بعد رحيل خالد إلى الشام وبعبارة أخرى نقدر غياب عدي عن العراق بنحو من ستة أشهر.

حملة أبي عبيد(96)

ما أن خرج خالد بن الوليد بنصف جيشه من العراق حتى بعث الفرس جيشا بقيادة هرمز جاذويه إلى المثنى، وتحرك المثنى بقواته فالتقى بهذا الجيش في بابل وهزمه في أواخر ربيع الأول 13هـ أواخر مايو (أيار) 634م، ثم انفلت المثنى إلى المدينة على ما ذكرنا حيث بعث عمر أبا عبيد بن مسعود مع بعض الأمداد. في ذات الوقت كان الفرس قد اجتمعوا على رستم أشهر رجالاتهم في الحرب والسياسة، فبعث رستم رجاله إلى أنحاء ما غزى المسلمون من أرض العراق لتنظيم الثورة ضد المسلمين كما بعث قواته المسلحة نحو المثنى للاشتباك به وكان المثنى من الفطنة بحيث لم يسمح لهذا المخطط أن يتم فانسحب بقواته من جميع أرض العراق وضمها إلى قواته الأساسية بخفان.

ونزل القائد الفارسي جابان بالنمارق بين الحيرة والقادسية، في حين قدم أبو عبيد بمن معه إلى المثنى بخفان، فعبأ قواته وجعل على المقدمة المثنى بن حارثة وعلى الميمنة والق بن جيداره وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم السلمي، ليس في الأخبار ذكر معين عن عدي في هذه الحملة، ولكن من الجائز أن يكون قد عاد مع قومه بني طيئ إلى مكانهم في المسيرة. ووقعت المعركة بالنمارق وانتصر المسلمون على المجوس ووقع جابان في الأسر في 8 شعبان 13 هـ.

(96) تفاصيل معارك الحملة وخرائطها مفصلة في " الطريق إلى المدائن" 299 – 338.

ولت الفلول الهاربة من النمارق إلى كسكر حيث كان قائد مجوسي آخر يدعى نرسي في جيش فارسي آخر. وبعث رستم من المدائن جيشا آخر بقيادة جالنوس. وقرر أبو عبيد أن يلتحم بنرسي ويصفي جيشه قبل أن يصل جالنوس إلى مسرح الحرب، فكانت معركة السقاطية بجنوب كسكر قريبا من موقع مدينة واسط في 12 شعبان 13 هـ 11 أكتوبر تشرين أول 634.

وانتصر المسلمون وهرب نرسي وبعث أبو عبيد قوات المطاردة في أثر الفارين وكانت هذه القوات بقيادة والق بن جيدارة وعروة بن زيد الخيل الطائي، ومن حيث كان طائيا فنحسبه كان من قوات عدي بن حاتم. وزحف المسلمون من السقاطية إلى باقسياثا (قريبا من بابل) وكالوا هزيمة أخرى للمجوس في 17 شعبان13 هـ 16 أكتوبر634م وارتد جالنوس مع فلوله إلى المدائن.

وعاد رستم يخرج إلى المسلمين جيشاً آخر يقوده بهمن جاذويه وجهزه بإمكانيات كبيرة وبأفيال القتال، وكان القتال إلى جوار برج بابل على أرض تحصرها الأنهار، ولأول مرة وآخر مرة في حروب العراق يصاب المسلمون بهزيمة كبيرة واستشهد أبو عبيد وإخوته وبنوه تحت أقدام أفيال المجوس واستشهد أربعة آلاف وفر أربعة آلاف وانسحب المثنى بأربعة آلاف هم كل ما بقى إلى الصحراء.

ومرة أخرى نبحث عن عدي فلا نراه......

هو لم يكن في الشهداء ونذهب إلى أنه لم يكن من الفارين وإنما كان من الثابتين الصامدين مع المثنى، ودليلنا على ذلك أنه استمر ذا مكانة في طيئ، ولو أنه فر يوم الجسر لسقطت مكانته. وفي صمود الانسحاب الرائع الذي قام به المثنى سجل الرواة أسماء خاضت قتالاً مريراً في استماتة وصلابة لحماية الانسحاب، من أبرزهم فارس بني طيئ عروة بن زيد الخيل الذي قاتل قتالاً عدل بقتال جماعة، وفي هذا من الدلالة على أن طيئاً ظلت مع المثنى ولم تكن من الفرار. كما ذكر ابن الأثير أن عدي بن حاتم شهد الموقعة التالية بالبويب وقد كانت بعد موقعة الجسر بنحو من شهر. معركة الجسر هذه وقعت في 23 شعبان 13 هـ 22 أكتوبر (تشرين الأول) 634م.

معركة البويب

جمع عمر أمداداً جديدة وبعث بها إلى المثنى بالعراق، في حين بعث الفرس مهران بن باذان على جيش من الفرسان ومعهم ثلاثة أفيال كان المسلمون ثمانية آلاف وكان عدي بن حاتم على بني طيئ، ونذهب إلى أن مكانهم كان ما زال في ميسرة المسلمين. ودارت المعركة(97)........ معركة البويب وأسماها بعضهم النخيلة وقال عنها بعضهم معركة مهران، كانت في رمضان 13هـ نوفمبر (تشرين ثان) 634م فيما بين نهر الفرات وقناة تصريف تسمى البويب تنصرف إليها مياه الفرات في الفيضان فتصب في الجوف. وفي البويب ثأر المسلمون ليوم الجسر فكانت مذبحة للمجوس حتى قدرت قتلاهم بمائة ألف، ونرى في هذا الرقم مبالغة. وانطلقت القوات التي شهدت يوم الجسر تطارد فلول الفرس.

وبعد الفراغ من المطاردة نظم المثنى عمليات الإغارة على كافة أنحاء العراق من جنوبه إلى شماله، واختص هو في قبائل ربيعة بالإغارة على شمال العراق وعبور نهر جلة والاقتراب من المدائن. وفي ذات الوقت كانت سائر القوات تغير على سواد العراق حتى جنوبه، في تلك القوات الأخيرة كانت سائر القبائل ومنها طيئ وعلى رأسها عدي. تلك الغارات استغرقت شهر شوال 13هـ - ديسمبر (كانون أول) 634 م.

([97]) تفاصيل المعركة وخرائطها في الطريق إلى المدائن 347 – 370 .

وكانت لتلك الهزائم أثرها على الفرس فنصبوا يزدجر الثالث ملكاً عليهم وشرعوا في إعداد جيوشهم لهجوم مضاد وأثاروا أهل العراق. كان جيش المسلمين ثمانية آلاف، ورأى المثنى أنه عدد لا يكفي للاحتفاظ بأرض العراق فانسحب بهم مرة أخرى إلى الصحراء وكتب إلى عمر بن الخطاب.

في القادسية:

وفي ذي القعدة 13هـ كتب عمر إلى عماله على أنحاء شبه الجزيرة ليحشدوا له كل الطاقات المتاحة لحرب العراق، ثم خرج من المدينة في أول محرم 14هـ واختار عمر سعد بن أبي وقاص ليقود العمليات التالية واستمر تدفق الحشود بعد أن خرج سعد بمن معه فكان عمر يرسلهم في أثرهم كما عمل سعد على حشد المسلمين من القبائل التي مر بها في طريقه وتوقف سعد في زرود من أرض نجد يجمع حشده، حينذاك كان المثنى ابن حارثة في شراف ينتظر قدوم سعد، كان مع المثنى اثنى عشر ألفا منهم عدي بن حاتم على ألف أو يزيد من فرسان بني طيئ. ولكن المثنى انتقل إلى رحاب الله قبل أن يلتقى بسعد، وارتحل سعد من زرود إلى شراف وانضمت القوات جميعا فنظمها سعد وقد بلغت بضعا وثلاثين ألفا.

الإعداد لمعركة القادسية والسير إليها ثم خوضها مع شرح مراحلها وخطواتها وتوقيعه على الخرائط قد فصلناه تفصيلا في "القادسية" وأشرنا إليه في النعمان بن مقرن وفي "طليحة بن خويلد" فنستميح القارئ عن إغفال ذكره هنا. فقط نشير إلى أن طيئا كانت في ميمنة المسلمين بالقادسبة، تلك الميمنة كان يقودها عبد الله بن المعتم وأن المعركة استمرت من الخميس 13 شعبان 15 هـ 19 سبتمبر (أيلول) 636 حتى الأحد 16 شعبان 15 هـ 22 سبتمبر 636 كان الفرس مائة وعشرين ألف مقاتل ومثلهم للخدمات وقد بلغ قتلاهم في المعركة نحوا خمسين ألفا من بينهم قائدهم رستم وكثير من أشهر قادتهم سوى من أبيد في المطاردة بعد المعركة، واستشهد من المسلمين ثمانية آلاف وخمسمائة. كانت المعركة حاسمة بحيث انكسر الجيش الكبير لدولة فارس كسراً قصم ظهر الامبراطورية وراح المسلمون يكتسحونها ويلتهمون أقاليمها الواحد تلو الآخر.

بين المدائن والكوفة

سار المسلمون[98] بعد القادسية وخاضوا في طريقهم بعض المعارك مع الفلول المنهزمة حتى تم لهم اقتحام المدائن في شهر صفر 16 هـ مارس 637 بمعركة عبور عبروا فيها نهر دجلة على ظهور الخيل، وفر الفرس وملكهم يزدجر الثالث ودخل المسلمون إيوان كسرى رمز عزهم وطغيانهم وجبروتهم فاتخذوه مصلى وغنموا غنائم لم يكن لهم بمثلها عهد. واتخذ يزدجر حلوان عاصمة مؤقتة له وأقام دفاعاته في جلولاء وأعاد حشد جيوشه بها، في حين تقدمت قوات أخرى مشتركة من الروم والفرس والعرب الموالين لهم من الموصل إلى تكريت. لقد رأينا جيوش المسلمين سارت مجمعة من القادسية إلى المدائن، ولكن بعد المدائن سارت الفتوح في عدة شعب فكانت كالآتي:

1- المدائن- جلولاء- حلوان.

2- المدائن- تكريت – الموصل.

3- المدائن – هيث- قرقيسيا.

4- البصرة- الأهواز.

---

(98)جميع معارك الفتح بعد القادسية شرحناها تفصيلا في كتابنا " سقوط المدائن".

فتوح الجزيرة (من الموصل ومن قرقيسيا).

من البصرة ومن الكوفة إلى نهاوند- همدان.............. إلخ.

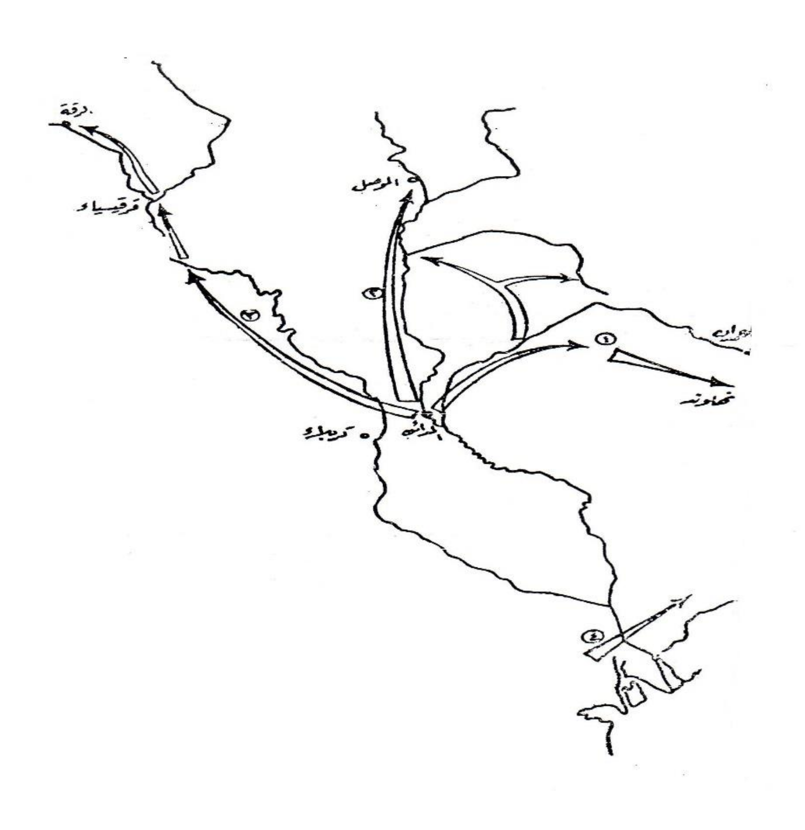
في أي تلك الجيوش كان عدي بن حاتم؟

لا يذكر الرواة شيئا. فإذا ذهبنا نبحث عن طيئ أو عن أحد من طيئ نجد أن ذكر القبيلة قد اختفى في تلك الفتوحات جميعا!. وعبرنا عشرين عاما من الزمن بين سطور المصادر حتى بلغنا العام السابع والثلاثين من الهجرة فوجدنا عائذ بن قيس الحزمري استنادا إلى أن بني حزمر كانوا أكثر عدداً من رهط عدي بن حاتم في صفين، قد نازع(99) عديا الراية فقام إليهم عبد الله بن خليفة الطائى البولاني فكان مما قال عن عدي "...... أليس برأسكم يوم النخيلة (وهو معركة البويب) ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء الوقيعة ويوم نهاوند ويوم تستر؟! وأقرت طيئ بذلك".

من هنا نلتقط الخيط فنساير عديا مع الشعبة رقم(1) إلى جلولاء وحلوان.

---

(99)الطبري 9/5 عن أبي مخنف عن جعفر بن حذيفة.


رقة
قرقيسياء
الموصل
نهاوند
كربلاء
١

في جلولاء:

وقد حشد يزدجر قواته في جلولاء على مسافة 150 كيلو مترا إلى الشمال الشرقي من المدائن.

وأقام استحكاماته بها، وأقام في حلوان وراء جلولاء بنحو من مائة كيلو مترا أخرى.

وبعث سعد اثنى عشر ألفا عليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جلولاء. ووقع بين المسلمين وبين المجوس ثمانون اشتباكا كان التفوق فيها جميعا للمسلمين ولكن كان المجوس يعودون فيحتمون باستحكماتهم، وأخيرا فتح الله على المسلمين في معركة ليلية فاكتسحوا مواقع الفرس بعد سبعة أشهر أو يزيد وغنموا منهم غنائم جسيمة قدرت بثلاثين مليون درهم، وقد تم فتح جلولاء في أول ذي القعدة 16 هـ 24 نوفمبر 637م.

وأمد سعد هاشما بثلاثة آلاف فنهض إلى حلوان حيث يزدجر، وعلى الطريق كانت معارك في خانقين وعلى أبواب حلوان، ثم سقطت وهرب يزدجر مرة أخرى. ومخرت قوات المسلمين حتى مهروذ ودسكرة ودقوقا وسن بارما.

ولم توافق المدائن صحة المسلمين ومزاجهم فاختاروا موقع الكوفة. فأقاموا عليه مدينتهم وانتقلوا إليها عام 17 هـ وقد خططوها أحياء لكل حي من العرب حي من الكوفة، فكان لطيئ حي ولبجيلة حي ولتميم حي... وهكذا. وفي هذا يقول ابن سعد في ترجمة عدي(100) بن حاتم "........ نزل الكوفة وابنتى بها دارا في طيئ". حينذاك كان عدي قد بلغ السبعين من عمره؟

في الأهواز:

حينذاك كانت ألوية المسلمين تعبر شط العرب من جهة البصرة وتقتطع أجزاء الأهواز التي تصدى للدفاع عنها هرمزان، وكان هرمزان- تحت تأثير الهزيمة- يعقد الصلح مع المسلمين على أداء الجزية ثم يعود إلى الانتفاض مرة بعد أخرى.

وأخيرا بعث إليه يزدجر بحشود تجمعت في تستر، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص لكي تساند قاعدة الكوفة قاعدة البصرة في مواجهة الموقف فبعث سعد- بأمر عمر- على عجل جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن المزني لينزلوا تجاه هرمزان حتى يستبين إن كان على وفائه أم أنه سينتفض مرة أخرى، كما كتب إلى أبي موسى الأشعري في البصرة ليبعث جنده أيضاً. وانتفض هرمزان وخرج من رامهرمز وبادر المسلمين بالهجوم عليهم والتقى به النعمان في أربك فهزم هرمزان واضطره إلى التراجع إلى تستر. عدي بن حاتم وبنو طيئ كانوا في قوات النعمان بن مقرن هذه.

---

(100) الطبقات الكبرى 6-13 .

واتجه النعمان بقواته إلى تستر حيث انضم إلى جيش البصرة وحاصروا جميعا مدينة تستر حيث تحصن هرمزان، وطال الحصار أشهراً اشتبكوا خلالها ثمانين اشتباكا كانت دولا بين المسلمين والمجوس، وأخيرا سقطت تستر وسقط هرمزان أسيراً فأرسلوه إلى عمر. وساروا إلى السوس بالأهواز أيضاً ففتحوها. "بعد ذلك سار جند من جيش البصرة إلى جند سابور ففتحوها" بينما نزل النعمان بجيش الكوفة على ماه وهي على الطريق إلى نهاوند.

ونهاوند:

وفي نهاوند حشد يزدجر مائة وخمسين ألفا عليهم فيرزان فوجه إليهم عمر ثلاثين ألفاً من المسلمين يقودهم النعمان بن مقرن المزني- ومازلنا نذكر أن طيئا وعليها عدي بن حاتم كانت معه- وجعل حذيفة بن اليمان رديفا للنعمان. وتوغل المسلمون حتى نزلوا على نهاوند فوقفوا أمامها طويلا في قتال متقطع، وأخيرا فتحها الله عليهم واستشهد النعمان رضي الله عنه في أول عام 19هـ وفر فيرزان نحو همذان فتتبعه المسلمون حتى قتلوه، واستسلمت همذان.

بعد ذلك سارت الفتوح إلى أصبهان بقوات متطوعة من المدائن ومن نهاوند. وليس بين أيدينا ما ينير لنا أن كان عدي أو أحد من طيئ قد شارك فيها. ولكن همذان عادت وانتفضت فأرسل إليهم عمر لواء من اثنى عشر ألفًا من جند الكوفة عليهم نعيم بن مقرن المزني وعلى مقدمته أخوه سويد بن مقرن وعلى ميمنته ربعي بن عامر التميمي وعلى ميسرته مهلهل بن زيد الخيل الطائي فأعاد فتحها. تلك الميسرة لا بد كانت من طيئ.

وربما دلنا ظهور مهلهل بن زيد الخيل الطائي على عدم وجود عدي بهذه الحملة لسبب لا نعرفه إذا لو كان أولى بتلك القيادة.

واستطردت الفتوح شرقا حتى خراسان وكرمان ومكران وشمالا حتى أرمنيا وآذربيجان وتركستان ولا نجد ذكرا لعدي بن حاتم مع تلك الفتوح مما يجعلنا نعتقد أنه استقر في الكوفة بعد نهاوند. كما جاء أنه نزل فرقيسياء بعد الكوفة.

فتنة نستجير الله منها

كانت الفتوح أبرز ما في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين وأنصعها بياضا، وهي التي تحققت بها معجزة بشرية نادرة بل وحيدة في تاريخ العالم. ولكننا على الوجه الآخر نجد أن الفتنة كانت هي البقعة المعتمة خلال ذلك التاريخ المضيء.

وقعت أمور منكرة وأحداث دامية لم يتم تسجيلها في حينها وإنما سجلت بعد أجيال في عصور تعرضت فيها الحريات والحرمات لمحنة لا شك كان لها أثرها على ما يكتب، كما تعرض الكتاب والرواة لما يفعله الهوى. وإذا كانت الأحداث قد اختلطت أمام أنظار الصحابة حينذاك فإنها اليوم أشد اختلاطا على القارئ أو الباحث، وكثير مما دون في هذا الشأن اشتهر وشاع وجرى على الألسنة وجرى به المداد على سطور الكتب وصفحاتها على علاته. قليل من الكتاب من حاول تمحيص تلك الروايات وتنقيتها، ونشير في هذا الشأن إلى القاضي ابن العربي(101) جزاه الله خيرا عن صحابة رسول الله ﷺ وعن تاريخنا. لقد هدف ابن العربي إلى تبرئة الصحابة رضوان الله عنهم من كثير مما نسبه إليهم في عصور متأخرة رواة مغرضون أو غافلون ينقلون عن كل وجه.

وإذا كان من صلحاء الصحابة والتابعين من استجار من الولوج في تلك الفتنة العمياء، فإننا اليوم نستجير أيضاً من عملية البحث فيها ومتاهات مسلكها بعد أن امتلأت أخبارها بالموضوعات والإسرائيليات بأكثر مما تسرب إلى الحديث والتفسير وسائر زوايا التاريخ.

---

(101) في كتاب القيم "العواصم من القواصم".

فإذا بحثنا عن عدي بن حاتم في الفتنة وجدناه كان يناصر على بن أبي طالب بكل ما أوتي من طاقة وكان معه في كافة معاركه. ولقد ذكر الطبري(102) – نقلا عن رواته- أنه كان ممن يحبطون مساعي الإصلاح، ونقل ذلك كتاب "الفتنة ووقعة الجمل" الذي جمع فيه روايات سيف بن عمر في الموضوع، نقله وجعل عنوانه "رؤوس الفتنة يحبطون مساعي الإصلاح".

هل كان عدي بن حاتم من رؤوس الفتنة؟!

لا خلاف في أن عدي بن حاتم كان من أفاضل صحابة رسول الله ﷺ الذين ينسحب عليهم قوله ﷺ: "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" فهو بمكانته علينا أن نتحرز أن نصمه بتلك الصفة، وأقصى ما يمكن أن يقال أنه لابس الفتنة وخالطها، ولا يغيب عنها هنا أن صحابة أجلاء قد خالطوها أيضاً مثل طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وعلى بن أبي طالب...... إلخ. ولكن أحدا لا يستطيع منصفا أن يصف أحدا منهم بأنه كان من رؤوس الفتنة، والقاعدة عند الفقهاء والمحدثين أن(103) الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به". ولقد أخرج البخاري ومسلم عن أشياخهما أحاديث اتصل سندها من عدل إلى عدل حتى عامر الشعبي وهمام بن الحارث عن عدي بن حاتم، كلهم شاهد عدل له.

---

(102) س ش س عن محمد وطلحة بن الاعلم.

(103) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث 182 عن النووي في التقريب.

فوصف صحابي جليل بأنه من رؤوس الفتنة وهو من هو- الذي مرت بنا سيرته- فيه ما ينبغي التحرز عنه، ليس فقط أخذا بالأحوط وإنما التزاما للأصوب وهو عدول الصحابة.

والذي نستطيع أن نذكره باطمئنان في هذا الشأن أمرين:

1- أن عدي بن حاتم كان من أنصار على بن أبي طالب رضي الله عنهما.

2- أنه لا يثبت شيء أكثر من ذلك عن عدي في الفتنة.

بنو عدي

كان لعدي بن حاتم أبناء ذكور وإناث. ومن حيث كانت كنيته أبا طريف فإن هذا يعني أن طريفاً كان أكبر ولده. كذلك كان له محمد ووهب. ولكن اختلفت الأخبار عن ذريته من بعده فقيل أن عدي بن حاتم حين توفى لم يترك ولدا أو ذرية، وهذا يعني أن أولاده الذكور قد ماتوا قبله ولم يعقبوا.

دخل(104) رجل على المأمون فكلمه بكلام أعجبه فسأله عن نسبه، قال الرجل: من طيئ من ولد عدي بن حاتم! فقال له المأمون: ألصلبه؟ قال: نعم. قال المأمون: هيهات أضللت؟ إن أبا طريف لم يعقب. فكان سقوط الرجل بجهله حال عدي أقبح من سقوطه بالنسب الذي أراد أن ينسب إليه.

وقد قتل ابنه محمد(105) يوم صفين وقتل ابن له آخر- لا ندري من هو- مع الخوارج ولم يبق له عقب إلا من قبل ابنتيه أسدة وعمرة.

وقد تزوج عمرو(106) بن حريث المخزومي بنت عدي بن حاتم على حكمه فحكم عدي بأربعمائة درهم، كما تزوج عمرو ابنة جرير ابن عبد الله البجلي أيضاً.

وقال ابن الإثير(107): شهد حابس بن سعد الطائي صفين مع معاوية ومعه راية طيئ فقتل يومئذ، وهو ختن عدي بن حاتم وخال ابنه زيد، فقتل زيد قاتل حابس غدرا فأقسم أبوه عدي أن يسلمه إلى أولياء المقتول، فهرب زيد إلى معاوية وخبره مشهور عند أهل الأخبار.

(104) المعارف 2.

(105) المعارف 313.

(106) المعارف 293.

(107) أسد الغابة 836.

وبعض كتب الرجال تجعل لعدي عقب، ففي تهذيب التهذيب(108): "روي المحل بن خليفة الطائي عن جده عدي بن حاتم وملحان بن زياد، وكان المحل ثقة صدوقا نزل الكوفة". وكذلك جاء في خلاصة تذهيب(109) تهذيب الكمال. ولعل المحل أن يكون من ذرية عدي عن بناته، ولقد بحثنا فيما رجعنا إليه فلم يصل بنا البحث إلى أكثر مما ذكرنا.

وفاة عدي

قال ابن الكلبي(110): مات عدي سنة سبع وستين وله مائة وعشرون سنة.

وكانت وفاته زمن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأوصي(111) ألا يصلي المختار عليه، فقد كان المختار جبارا ظالما على شاكلة الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان والده أبو عبيد بن مسعود قائد المسلمين الذي استشد في معركة الجسر وكان عدي ممن حارب تحت قيادته.

وقال الذهبي عن عدي: عاش مائة وثمانين سنة(112).

([108]) 10/60-98.

([109]) 370.

([110]) الطبقات الكبرى 6/13.

([111])المعارف 313

([112]) سير أعلام النبلاء 3/109.

متفرقات

- أقطع عثمان بن عفانﷺ(113) عدي بن حاتم الروحاء مما كان من صوافي كسرى (أملاكه التي اصطفاها لنفسه) أو من أرض الجالية.

- قال جرير عن مغيرة(114) خرج عدي وجرير البجلي وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا قرقيسيا، وقالوا لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان.

- روى الحديث عن عدي جماعة من البصريين والكوفيين.

- شهد موقعة الجمل مع علي ففقئت عينه يومها، كما شهد معه صفين والنهروان.

- كان عدي يقول(115): ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء.

- تذاكر فتية في الكوفة السؤدد فأشكل عليهم، فتجمعوا فأتوا عدي بن حاتم، فدعا لهم بتمر ولبن فأكلوا، ثم قال لهم: سألتم عن السؤدد؟ قالوا: نعم. قال(116) السيد فينا المنخدع في ماله الذليل في عرضه المطروح لحقده المتعهد لعامته.

---

(113) فتوح البلدان 336.

(114)سير أعلام النبلاء 109/3.

(115) دول الإسلام 51/1.

(116) عيون الأخبار 225/1، ديوان حاتم.

- سأل عمر(117) بن عبد العزيز أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة: لأي شيء كان أبو بكر ﷺ يكتب "من خليفة رسول الله ﷺ وكان عمر يكتب من خليفة أبي بكر وأول من كتب عبد الله أمير المؤمنين"؟ قال حدثتني الشفاء وكانت من المهاجرات الأول أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامله على العراق أن أبعث إلى برجلين جلدين نبيلين أسألهما عن العراق وأهله. فبعث إليه لبيد بن ربيعة العامري وعدي بن حاتم الطائي، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد فإذا هما بعمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين يا عمرو. فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، نحن المؤمنين وهو أميرنا.

فوثب عمرو فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم؟ يعلم الله لتخرجن مما قلت أو لأفعلن. قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم قالا استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك أنت الأمير ونحن المؤمنون.

---

(117) الاستيعاب 458/2.

- كان(118) عدي طويلا إذا ركب الفرس كادت تخط في الأرض.

- خرج علي(119) بن أبي طالب ومعه عدي بن حاتم بعد صفين، فإذا رجل من طيئ قتيل قد قتله أصحاب علي. فقال عدي: يا ويح هذا، كان أمس مسلماً واليوم كافراً. فقال علي: مهلاً، كان أمس مؤمنا وهو اليوم مؤمن.

- لما كبر عدي(120) بن حاتم آذاه برد الأرض وكان رجلا لحيما فنهشت الأرض فخذيه فجمع قومه واستأذنهم أن يجلس على وطاء في ناديهم، وقال: أكره أن يظن أحدكم أني أرى أن لي عليه فضلا ولكني كبرت ورق عظمي.

- عن خيثمة بن عبد الرحمن عن عدي بن حاتم قال: ما دخلت على النبي ﷺ قط إلا وسع لي أو تحرك لي، وقد دخلت عليه يوما في بيته وقد امتلأ من أصحابه فوسع لي حتى جلست إلى جانبه.

([118]) المعارف 593.

([119]) تاريخ دمشق 330/1 عن أبي غالب بن البنا عن أبي محمد الجوهري عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن الزهري عن حمزة بن القاسم عن أبي هلال الأشعري عن محمد بن حازم عن محمد بن قيس عن سعد بن إبراهيم.

([120]) عيون الأخبار 338/3، سير أعلام النبلاء.

المراجع

تاريخ الأمم والملوك- الطبري- دار المعارف- القاهرة.

السيرة النبوية- ابن هشام. الحلبي بمصر.

زاد المعاد- ابن القيم- المطبعة المصرية ومكتبتها.

تاريخ فتوح الشام- الازدي- مؤسسة سجل العرب.

تاريخ دمشق- ابن عساكر- المجمع العلمي بدمشق.

إمتاع الأسماع- المقريزي – لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

شرح صحيح البخاري- الكرماني. المطبعة المصرية.

جمهرة أنساب العرب- ابن حزم- دار المعارف بمصر.

أسد الغابة في معرفة الصحابة- ابن الأثير- دار الشعب.

الإصابة في تمييز الصحابة- ابن حجر العسقلاني- التجارية القاهرة.

الاستيعاب في أسماء الأصحاب- يوسف بن البر القرطبي 1939.

الطبقات الكبرى- ابن سعد طبعة من منشورات مؤسسة النصر- طهران كاشن مصور عن كتاب طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن 1322هـ.

سير أعلام النبلاء- الذهبي

فتوح البلدان- البلاذري- مكتبة النهضة المصرية.

عيون الأخبار- ابن قتيبة الدينورى- التراث للجميع، الهيئة المصرية للكتاب.

المعارف- ابن قتيبة- دار المعارف بمصر

المسالك والممالك – الاصطخري – سلسلة تراثنا .

المسالك والممالك- ابن خرداذبة- مطبعة بريل- ليدن .

معجم القبائل العربية القديمة والحديثة- عمر رضا كحالة

أيام العرب في الجاهلية.

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب- محمود الآلوسي.

الصديق أبو بكر. محمد حسين هيكل- مطبعة مصر.

ديوان حاتم الطائي. دار صادر – بيروت.

الطريق إلى المدائن- أحمد عادل كمال- مكتبات الأهرام .

القادسية- أحمد عادل كمال- مكتبات الأهرام.

سقوط المدائن- أحمد عادل كمال مكتبات الأهرام

الطريق إلى دمشق- أحمد عادل كمال- مكتبات الأهرام .

النعمان بن مقرن المزني- أحمد عادل كمال .

طليحة بن خويلد الأسدي- أحمد عادل كمال .

محمد بن مسلمة الأنصاري- أحمد عادل كمال .

لهجات العرب- أحمد تيمور- المكتبة الثقافية- القاهرة.

أضواء على التاريخ الإسلامي- محمد فتحي عثمان- دار العروبة- القاهرة.

صحيح مسلم- الأمام مسلم- كتاب التحرير بالقاهرة.

الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- دار الكتب المصرية بالقاهرة

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث- جمال الدين القاسمي- مكتب النشر العربي. دمشق.

معجم البلدان- ياقوت الحموي- دار صادر- بيروت.

الفهرس